ملامح العين
وأفعالها ودلالاتها كما صورها القرآن الكريم

د. أبو بكر علي الصديق(*)

المقدمة :

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفضله على سائر مخلوقاته التفضيل العظيم، وميزه بخصائص تمكنه من القيام بمهامه أيما تمكين، وجعل له عينين ولسانا وشفتين، وأودع فيه أسراره وعجائبه حيث جعله خليفته في أرضه وسخر له ما في السموات والأرضين ، فتبارك الله أحسن الخالقين.

والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد الإنسان الكامل المكمل وأشرف الخَلْق المعظم، الذي قال له ربه ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨] اللهم صل عليه صلاة تليق بمقامه العظيم، وعلى آله وصحبه الطيبين المطهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الأجزاء البشرية شرفها الله تعالى وفضل بعضها على بعض، كما فضل اليمين على الشمال، والرأس على الرجلين، وجعل بعض الأجزاء أهم من بعض، فجعل العقل والقلب أهمها وأشرفها، والسمع والبصر قريبا من تلك الأهمية، وبقية الأعضاء تتبعها، ولذلك أمرنا بالتفكر فيها خلقا وأداء فقال تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١] فهو يثير عجبنا وتعجبنا أيما إثارة ويطلب منا التبصر والتدبر طلبا حثيثا، وقد نبهنا الأولون إلى ذلك فقال قائلهم:

دواؤك فيك ومـــا تشعر وداؤك منك ومـــــــا تبصر

(*) أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة عجمان – دولة الإمارات العربية المتحدة.

وتحسب أنك جزء صغير وفيك انطوى العالم الأكبر[1]

ومن هذا المنطلق سوف نتكلم عن العين وعجائبها وأفعالها وقدراتها التي أودعها الله فيها تباركت حكمته وجلت صنعته. ولقد أكثر الله تعالى في القرآن من ذكر السمع والبصر مقترنين. ثم خص العين بذكرها كثيرا جدا. وخصها بأفعال لا توجد في الأجزاء الأخرى من الإنسان، وهذا ما يدفعنا للكتابة في هذا الموضوع .

سبب اختيار الموضوع: لا شك أن التفكر في موضوع العين أمر مثير إلى أبعد الحدود يتطلب منا استقصاء دقيقا لأمرها، وهذا صعب في غاية الصعوبة: إذ كل مبحث من مباحث هذا البحث يستوعب كتابا كاملا.

ومهما يكن من قول فإن هذا الموضوع قد استرعى انتباهي منذ زمن طويل، خاصة وأن الناس ما زالوا يتحيرون في إصابة عين الإنسان لأخيه الإنسان، بل ما زال علماؤنا في حيرة من هذا الأمر، لا يدرون حقيقة ذلك، ولم يتوصل العلم الحديث إلى تلك الحقيقة، وما زالوا يقولون: إنها إشارات كهربائية تصدرها العين تؤثر في الآخرين، صحيح أنهم أقروا بوجودها لكن منهم من يسميها قوة، ومنهم من يسميها قوة خفية، ومنهم من يسميها قوة سُمّية، ومنهم من يسميها طاقة خفية، ومنهم من يسميها جوهرا لطيفا،[2] والواقع أنه ليس كل

(1) نظم الدرر (٢٢/ ٧٣)، حاشية الشهاب (١/ ٩٣)، وهي قصيدة طويلة نسبها أحدهم إلى سيدنا علي في كتاب: من رحيق الشعر (ص: ٤١) عبدالله بن محمد بن إبراهيم الحسن.

(2) قال د سامح عسكر في بحث نشره سنة ٢٠١٣ باسم: حقيقة العين والحسد : هو انفصال قوة سمية من عين العائن أو جواهر لطيفة غير مرئية تتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه، وقال د عبد الهادي مصباح ٢٠٠٨: هو من عالم الطاقة الخفي الذي لا نراه إلا أننا نكتشفه من خلال آثار هذه الطاقة الظاهرة التي تتحرك بسرعة تفوق كثيرا سرعة المادة في موجات تختلف في أطوالها وسعاتها، وكلما اختلفت هذه الخصائص اختلف أثر الطاقة وإحساسنا بها. ويستطيع الإنسان اليوم دراسة طاقة الإشعاعات الخارجة من الجسم البشري وكل ما يحيط به من كائنات بأجهزة معينة وتحديد كميتها في صورة وحدات ويسميها اليابانيون: رايكي، وقالوا: يوجد بعض الأشخاص غير العاديين لديهم قدرة وطاقة نفسية وداخلية تجعله صاحب عين ضارة.=

عين كذلك ولا تصيب كل الناس، ولكن السنة النبوية بينت عند من تكون ومن تصيب، وهذا ما سيثبته هذا البحث باختصار .

أهمية الموضوع: تأتي أهمية الموضوع من أهمية ذكره في القرآن كثيرا جدا وتعدد مادته اللغوية والشرعية، حيث ذُكرت العين وذكرت أفعالها في القرآن كالبصر والرؤية والنظر والمعاينة والمشاهدة والاطلاع والمقابلة والمواجهة، ولكل من هذه المواد أشكالها وتعبيراتها، كما جعل القرآنُ الاعتداء على العين قصاصا فقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ [المائدة: ٤٥] ولم يجعل لها دية إلا في الصلح والخطأ، وفي الخطأ جعل دية العينين دية إنسان كامل،[1] ومن هنا قلنا: إن الموضوع كبير جدا، وهو كبير أكثر مما نتصور ، فلو تكلمنا عن مدى رؤية العين فقط لاضطررنا إلى ملء كتاب إن لم نقل أكثر، وهو المعبر عنه بلمح البصر، ولو تكلمنا عن شرايين العين التى هى أقل من تشريحها لغرقنا فيها ولم نطف على السطح بعد ذلك، ولو كان أمرها بسيطا لما جُعل لدراستها كلية خاصة ولما وجد علم يقال له (طب العيون).

فهو إذن موضوع شاق وشائق وشائك، نسأل الله تعالى أن ييسر لنا طريقه ويحل لنا عقده بحوله وقوته، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

=وقال د قسطاس إبراهيم النعيمي ٢٠١٣ : واستطاع المعاصرون أن يصمموا أجهزة دقيقة لقياس هذه الطاقة سماها (شاكرا) مثل د هيروشي موتو ياما.

(1) أخرجه ابن وهب في الجامع رقم ٥١٨، وعبد الرزاق رقم ١٧٤١٢، والنسائي رقم ٤٨٥٣، وابن حبان رقم ٦٥٥٩، وينظر : حاشية ابن عابدين (٦/ ٥٦٧)، النوادر والزيادات (١٤/ ١٧)، حاشيتا قليوبي وعميرة (٤/ ١٣٦)، المغني لابن قدامة (٨/ ٤٣٦)، وقال: عليه الإجماع .

خطة البحث: تقدم القول في تشعب موضوع العين ولكننا نستطيع أن نختصره في تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: وفيه تعريف للعين وتشريحها وذكرها كما صوره القرآن الكريم.

المبحث الأول: (أهميتها وفوائدها).

المبحث الثاني: (أوصافها وأحوالها).

المبحث الثالث : (أفعالها وحركاتها).

المبحث الرابع: علاقة العين بالجوارح الأخرى.

الخاتمة والنتائج و الفهارس.

منهجي في البحث: بعد عرض هذه الخطة لا بد لنا من بيان ما سوف نفعله في البحث، ومن البديهي أن نجمع ما ذكر عن العين في القرآن الكريم وملامحها وأوصافها ووظائفها وأفعالها، ثم نقارن ذلك بما قاله الأطباء وعلماء التشريح، ولكن من الصعب أن نفسر ذلك على وجه الاستقصاء والإحاطة فهذا يحتاج إلى مجلدات، فلا بد من ذكر ذلك على وجه الاختصار الشديد .

وبعد ذلك نقسم هذه المادة فما كان خارجا عن صلب الموضوع وهو بمثابة تعريف لها ونحوه نضعه في التمهيد، وما كان أساسيا جعلناه في صلب الموضوع، ملتزمين بذلك أسلوب الرعيل الأول من علمائنا العظماء والمفسرين الأجلاء الذين قدموا لنا مادة نقية، لا يشوبها تأثر بالغرباء الذين يقولون لنا شيئا ثم يغيرونه بعد ذلك، فلا هم علمونا شيئا في قولهم الأول ولا هم اكتسبوا ثقتنا في قولهم الثاني، كما أننا إذا استشهدنا بحديث نخرجه من أمهات كتب الحديث ونذكر ما يقولونه باختصار ونعتمد على كتب شراح السنة الذين نقلوها لنا على أكمل وجه، نوثق من كتبهم وننهل من علمهم، وإذا نقلنا من كتب التفسير فكلامهم يكون في تفسير نفس الآية التي نتكلم عنها، وإن نقلنا من كتب اللغة ففي نفس المادة التي نشرحها؛ حتى لا يتحير المُراجِع في ذلك إذا اختلفت

الطبعات،على أننا لن نهمل النظر في كتب المعاصرين فلن نعدم منها خيرا، خاصة فيما وافق الكتاب والسنة والنظريات الصحيحة التي لا تتعدى الحقائق ولا تخالف المعقول.

فالله تعالى أسأل أن يهدينا سواء السبيل ويعصمنا من الخطأ والزلل فهو حسبنا ونعم الوكيل .

**

التمهيد

تعريف العين وذكرها وتشريحها

خلق الله لنا العين لنرى بها ملكوت السموات والأرض ونشعر بمن حولنا وبالغادي والرائح، ولولاها لكانت الدنيا سوداء حولنا كما يشعر الأعمى، ولذا ذكر الله تعالى أنه من علينا أولا بنعمة العينين فقال تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ *وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ٨ – ١٠] وقبل أن نخوض في الحديث عنها لا بد لنا أن نعرفها ونبين مواضع ذكرها في القرآن الكريم بكل أفعالها وتصريفاتها، ونتعرف عليها تشريحيا .

أولا: تعريف العين لغة: العين في اللغة هى العضو الباصر الظاهر[1]

وفي الاصطلاح: عين الإنسان هي الحاسة المبصرة المستديرة الكائنة في تجويف الوجه تحت الحاجبين بها تدرك المرئيات[2]، على أن غير الإنسان قد تكون عينه غير ذلك، وهو شيء لا ينحصر.

والعين أشرف الأعضاء بعد العقل، وقد تغلبه في كثرة الاستعمال، فيقال: عين القوم، وأعيان البلد، وعين السماء – للغيث المحبوب عند العرب والناس[3] – وقبل أن نتكلم عنها يجب أن نعلم أن كل قضايا هذا البحث مَجازية فالعمل عمل العقل، والعقل قيامه بالروح، لكن العين هي المباشرة فسبب المجاز هو المباشرة .

وقد ورد ذكر العين في القرآن مفردا ومثنى ومجموعا قال الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ [المائدة: ٤٥] وقال

---

(1) مقاييس اللغة (٤/ ١٩٩).

(2) هذا تعريف مأخوذ من كلام أهل اللغة والطب، ينظر المزهر في علوم اللغة ١/ ٢٩٥ ، جمهرة اللغة ١/ ٤٤١، والقانون في الطب (٢/ ١٦١)، والمناظر لابن الهيثم ١/١ .

(3) لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " الْمَدِينَةُ بَيْنَ عَيْنَيِ السَّمَاءِ " مسند الشافعي – ترتيب سنجر (٢/ ٦٧) رقم ٥٣٣، ومعرفة السنن والآثار (٥/ ١٩٥) رقم ٧٢٦٦.

تعالى: ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ [آل عمران: ١٣] وقال تعالى:﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩] وقال تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه: ٣٩] وقال أيضا: ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [طه: ٤٠] وفي الآية الأخرى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص: ١٣] .

وفي التثنية قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد: ٨، ٩].

وفي الجمع قال سبحانه: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: ٧٤] وكذلك قال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] وقال أيضا: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود: ٣٧] وفي الآية الأخرى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [المؤمنون: ٢٧] ثم قال: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨] وقال: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤] وقال أيضا: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ [الأنفال: ٤٤] وكذلك قال: ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ [هود: ٣١] وقال أيضا: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ﴾ [يس: ٦٦].

ويقال لذي العين الجميلة الواسعة: أعين، وللأنثى عيناء، وللجمع عِين، ومنه قيل : حور عين، وقد تكررت في القرآن أربع مرات.

وقد استعير اسم العين لأشياء كثيرة إما لشرفها وأهميتها، وإما لمشابهتها بالاستدارة أو التجويف أو الثقب أو جريان الشيء من أي ثقب صغر أو كبر أو يجري ولا ينفد، أو يؤكد بها لأنها مصدر الوضوح.

١- أما شرفها وشبهها بالأهمية فقد تقدم أنه يقال: عين القوم وأعيان البلد ، والأعيان: الإخوة بنو أب وأم. وعين المتاع خياره ، وتقدم القول بأن دية العينين دية إنسان كامل .

٢- وأما في شبهها بالاستدارة فيقال للشمس: عين، ويقال أيضا: عين الشمس[١]، وفي الحديث عن آكلة المرعى: " حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ"[٢] وكذا يقال للدينار والدرهم: عين.

٣- وفي مشابهة التجويف بها يقال للقوس عين وللميزان إذا اعوج: عين تشبيها بحاجب العين.

٤- وفي مشابهة الثقب لها يقال لكل ثقب: عين، فيقال للقرباء عين. والقرباء ثقوب في الجلد كالجرب، والثقب إذا كان يسيل يقال له عين أيضا كعين الماء وعين القطر وهو النحاس، قال تعالى ﴿ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥] وقال أيضا: ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: ١٢] وكذلك قال: ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] وقال أيضا: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ [سبأ: ١٢] وجمعها فقال: ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾ [يس: ٣٤] وكذلك يقال لنقرة الركبة: عين الركبة . [٣]

وتقدم أن المطر الكثير يقال له: عين فيقال: عين السماء وعيني السماء وعيون السماء .

٥- وإذا اهتموا بالشيء وأرادوا تأكيده قالوا: هو الشيء بعينه وهو الرجل بعينه. وفي حديث الرجل الذي اطلع مرات قال الراوي": حَتَّى اطَّلَعَ الرَّجُلُ بِعَيْنِهِ " [٤].

---

(1) المزهر في علوم اللغة (١/ ٢٩٦)، وإصلاح المنطق لابن السكيت (ص: ٤٩)، وفقه اللغة للثعالبي ٢٦٢.

(2) أخرجه البخاري (٢/ ١٢١) رقم ١٤٦٥، ومسلم (٢/ ٧٢٨) رقم ١٠٥٢، والترمذي (٥/ ٢٢١) رقم ٣٢٣٥، والنسائي (٥/ ٩٠) رقم ٢٥٨١، وأحمد في مسنده (١٧/ ٢٤٨) رقم ١١١٥٧.

(3) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٢٩٥) .

(4) أخرجه ابن الجعد في مسنده (ص: ٤٢٩) رقم ٢٩٣٠، وأبو يعلى الموصلي (١٣/ ٥٣٧) رقم ٧٥٤٤

٦- والعين هو الجاسوس والربيئة الذي يطلع بعينه ويأتي بالأخبار ، كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ(١).

وورد أيضا أن فرات بن حيان كان عينا لأبي سفيان(٢).

٧- ولا ننسى أن الحرف الذي بعد الظاء يسمى عينا.

٨- والنَّفْس أَيْضًا يقال لها: العَيْنُ، فيقال: أصابت فلاناً نَفْس، أي عَيْن(٣).

٩- وعين الدار أهلها .

١٠- ولا ننسى أيضا أن العين تسمى الباصرة والرائية والناظرة والمعاينة والواجدة والمشاهدة والمطلعة والمشافهة.

فالبصر والإبصار ذكر في القرآن كثيرا، وكذلك اسم الفاعل منها يقال له: البصير، والبصير اسم من أسماء الله تعالى ذكر معرفا أربع مرات ومنكّرا ثنتين وأربعين مرة، ومرتين في غير أسماء الله. وورد اسم الفاعل بلفظ مبصر، قال تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرا ﴾ [يونس: ٦٧] وفي ٢٧ النمل و٤٠ غافر.

ثم إن الفعل الماضي ورد في القرآن بلفظ (بصُر) ولم يرد بلفظ (أبصر)، قال تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ [طه: ٩٦] وقال أيضا: ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ﴾ [القصص: ١١] وورد المضارع منه مرة واحدة قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢] وورد بلفظ

---

(1) أخرجه أحمد (٣١/ ٢٩٩) رقم ١٨٩٦٥، وأبو داود (٣/ ٤٨) رقم ٢٦٥٢، والحاكم (٤/ ٤٠٧) رقم ٨٠٩٣ .

(2) أخرجه أحمد ١٩/ ٣٨٩ رقم ١٢٣٩٨، ومسلم ٣/ ١٥٠٩ رقم ١٩٠١، وأبو داود ٤/ ٢٥٩ رقم ٢٦١٨ .

(3) إصلاح المنطق (ص: ٦٧)

الجماعة (يبصرون) إحدى عشرة مرة، وتبصرون تسع مرات، وورد لفظ (الأبصار) ست عشرة مرة ومضافا إلى الضمائر ست مرات، ولأهمية البصر تنسب له البصيرة القلبية وتجمع على بصائر قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقال: ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤] وجمع ذلك فقال: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤] وقال: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى﴾ [الأعراف: ٢٠٣] وقال: ﴿ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [القصص: ٤٣] وقال: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الجاثية: ٢٠].

أما فعل الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٩] فهو على معنى أنظرهم أو انتظرهم،[1] وقوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨] ليس على الأمر وإنما هو على التعجب[2] .

وأعجب شيء في هذا البصر أنه إذا كشف عنه الحجاب في الدنيا فإنه يكون لا حدود له، وأن الله تعالى ذكر أن هذا البصر أعجب ما يكون عند الموت، فتكون قوته لا منتهى لها، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] [3].

(1) تفسير الزمخشري (٤/ ٦٨).
(2) تفسير النسفي (٢/ ٣٣٦) وقال: هو رأي جمهور النحاة والمفسرين .
(3) تفسير الرازي (٢٠/ ٣١١)، تفسير القرطبي (١٧/ ١٥).

فالإنسان عندما يموت يعرج بروحه إلى ربه مؤمنا كان أو كافرا[1] ويطلع على العوالم كلها فينال المؤمن الرضا ويزداد نعيما، ويُردّ الكافر وينشغل بعذاب القبر وأهواله، ثم يوم القيامة يكون في جهنم، والمسلم والكافر يزدادان بصرا يوم القيامة ليتنعم المسلم ويتغيظ الكافر، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ*يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ* أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٠ حتى ٦٠] فقد حاور المؤمن الكافر وبينهما عوالم ومسافات لا يعلمها إلا الله، وسيأتي مزيد بيان في مبحث أحوال العين إن شاء الله تعالى.

وأما فِعل (رأى) البصرية والقلبية وتصريفها فقد وردت كثيرا جدا وجملة ذلك مئتان وخمس وخمسون مرة. و(الرؤيا) ثلاث مرات و(الرياء) ثلاث أيضا. وأعجب ما ذكر مع هذا الفعل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ

---

(1) ورد في الحديث: " إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ " قَالَ: " فَلَا يَزَالُ يُقَالُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ " قَالَ: " فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ، فَلَا تَزَالُ تَخْرُجُ، ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهُ لَا يُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ".

أخرجه أحمد ٨٧٦٩ ، والنسائى (٨/٤ ، رقم ١٨٣٣)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٣)، رقم ٤٢٦٢ والبزار (البحر الزخار) ١٥/ ٢٩ رقم ٨٢١٩، والطبراني في الكبير جـ ١٣، ١٤ رقم ١٤١٧٤، والحاكم (٥٠٤/١ ، رقم ١٣٠٢) .

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] وهذا الملكوت ليس الملكوت الذي نراه نحن لأنه لفظ المجهول ولو كان كذلك لتساوى مع الآخرين في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] لأن المعنى مع سيدنا إبراهيم عليه السلام كشف الحجاب عن العين، فالعين البشرية محجوبة عن كثير من الأشياء قدَرا، ومن كشف عنه حجاب الرؤية يرى ما لا يراه غيره، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كشف له عن معركة مؤتة وجلس يحدث عن مجرى المعركة فقال: " أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدٌ عن غير إِمْرَةٍ ففتح الله عليه".[1] ومن جهة أخرى فإن بعض الحيوانات ترى ما لا يراه البشر كرؤيتهم للملائكة والجن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم أصواتَ الدِّيَكَة فإنها رأتْ مَلَكًا فاسألوا اللهَ وارغبوا إليه، وإذا سمعتم نُهاقَ الحميرِ فإنها رأتْ شيطانًا فاستعيذوا باللهِ من شرِّ ما رأتْ"[2] وإن كان البعض يرى أنها قوة في الخلق والرؤية ، لكن لا يمنع أن يكون من باب كشف الحجاب لحكمة يعلمها الله تعالى.

وأما فِعل(نظر) فتلحقها : (انتظر) فهما وتصريفهما ذكرا في القرآن سبعا وتسعين مرة .

وأما (عاين) بمعنى رأى فلم تذكر في القرآن، ولكنها ذكرت في السنة ولغة العرب كثيرا[3].

---

(1) أخرجه أحمد (١١٣/٣ ، رقم ١٢١٣٥) والبخارى (٤٢٠/١ ، رقم ١١٨٩) والنسائى (٢٦/٤ رقم ١٨٧٨) وأبو يعلى (٢٠٢/٧ ، رقم ٤١٩٠) والطبرانى (١٠٦/٢رقم ١٤٦٢).

(2) أخرجه أحمد (٣٠٦/٢ رقم ٨٠٥٠) والبخارى (١٢٠٢/٣ رقم ٣١٢٧) ومسلم (٢٠٩٢/٤ رقم ٢٧٢٩) وأبو داود (٣٢٧/٤ ، رقم ٥١٠٢) والترمذى (٥٠٨/٥ ، رقم ٣٤٥٩).

(3) المزهر في علوم اللغة (١/ ٢٩٦) إيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٢٦).

فقد ورد في الحديث " لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَة، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعِجْلِ، فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ، فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا أَلْقَى الْأَلْوَاحَ فَانْكَسَرَتْ "[1] وفي لفظ آخر: "إِذَا عَايَنَ الْمَرِيضُ الْمَلَكَ ذَهَبَتِ الْمَعْرِفَةُ" يَعْنِي مَعْرِفَةَ النَّاسِ[2] وكما يقولون معاينة يقولون: عيانا، قال الشاعر :

ولما تناءت بالحبيب دياره وصرنا جميعا من عيان إلى وهم [3]

وأما (وجد) فقد ذكرت بتصريفاتها إحدى وتسعين مرة، والمصدر الوُجْد والوجدان، كما في قوله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ [الطلاق: ٦] وتكون حقيقة كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقد تكون مجازا كما في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩]، والوجود هو الكون لأننا نراه، والموجود اسم مفعول والواجد اسم من أسماء الله تعالى وكذلك الموجد .

وأما (شهد) فهي مشتركة بين الشهود بالعين والحضور بالجسم، فيقال: شهد بعينه وشهد الوقعة، كما في الحديث " الغنيمة لمن شهد الوقعة "[4] أي حضرها، وتأتي على فعل (شهد) و(شاهَدَ) و(أشهد) و(استشهد) ويأتي اسم الفاعل على شهيد ويجمع على شهداء ، وشاهد ويجمع على شهود وأشهاد، وكل

---

(1) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٠) رقم ٢٤٤٧ وابن حبان (٩٦/١٤ ، رقم ٦٢١٣)، والطبرانى فى الأوسط (١٢/١ رقم ٢٥)، والحاكم (٣٥١/٢ ، رقم ٣٢٥٠) وقال : صحيح على شرط الشيخين. والضياء (٨٢/١٠ ، رقم ٧٦).

(2) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٤٤٢) رقم ١٤٥٣ وعبد الرزاق (٣/ ٣٩٤) رقم ٦٠٦٨ واللفظ له .

(3) زهر الآداب للحصري (٢/ ٢٤١)، دمية القصر وعصرة أهل العصر (٢/ ٧٢٦).

(4) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣٣١) رقم ٢٧٩١ وابن الجعد في مسنده (ص: ١٠٠) رقم ٥٨٨ وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٩٣) ٣٣٢٢٥، وبوب له البخاري (٤/ ٨٦) قبل الرقم ٣١٢٥ .

هذه التصريفات موجودة في القرآن الكريم، وبلغت تصريفاتها مئة وإحدى وخمسين كلمة .

وأما (الاطلاع) وهو من باب طلع فيكون بالعين وبالعلم وبالجسم، قال تعالى:﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] وقال: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] وقال: ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: ٦، ٧] وهذه المادة ذكرت بتصريفاتها في القرآن الكريم ثنتي عشرة مرة .

وأما (شافه) فهي مشتركة بين تقابل الوجوه ومجرد المقابلة حيث توجد من الأعمى، لكنها وردت في كلام العرب، يقال: شافهته مشافهة وشفاها[1] وكذا واجه وتواجه والمواجهة[2] ومنه الحديث " إذا تَوَاجَهَ المسلمانِ بسيفيهما فَقَتَلَ أحدُهما صاحبَه فالقاتلُ والمقتولُ فى النارِ"[3].

ومثل ذلك أقبل وقابل وتقابل فملزومهما الرؤية والنظر ، فذكر القرآن أقبل كما قال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] وقوله أيضا: ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [يوسف: ٧١] فلم يكتف بذكر القول فدعمه بالمقابلة ليوحي أن القول كان مواجهة وعيانا، وقد ذكرت خمس مرات ، وذكر التقابل أيضا لكن باسم الفاعل، أربع مرات قال تعالى: ﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

---

(1) تصحيح الفصيح وشرحه (ص: ٤٣٣).

(2) المزهر في علوم اللغة (١/ ٢٩٤).

(3) أخرجه عبد بن حميد (ص ١٩٢ ، رقم ٥٤٣)، وابن أبى شيبة (٤٦٠/٧ ، رقم ٣٧٢٢٠)، وأحمد (٤١٠/٤ رقم ١٩٦٩١)، والبخارى (٢٥٩٤/٦ رقم ٦٦٧٢)، ومسلم (٢٢١٣/٤ ، رقم ٢٨٨٨)، وأبو داود (١٠٣/٤ رقم ٤٢٦٨)، والنسائى (١٢٤/٧ ، رقم ٤١١٨).

والعَيِّن من الأَضداد. يقال: عَيِّن للخلَق، كالقربة الَّتي قد تهيّأَت مواضع منها للتثقُّب من الإخلاق، والبِلى وعَيِّن للجديد، قال الطِّرِمّاح:

وأَخْلَق منها كُلُّ بالٍ وعَيِّن ... وجفَّ الرَّوايا بالملا المتباطِنِ

ويقال: عيّن الشيء حدده ، وعُيّن في وظيفة كذا، وتعيّن عليه لزمه، ويقال: عين اللغة أي كتاب العين للخليل[1] ويعبر عن العين بالطرْف فقد جاء في وصف البراق أنه: " يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ "[2].

وبالجفن يقال: لم يغمض لي جفن، أي لم تنم عيني. وبالأهداب. يقال: نظر إلي بأهداب متهالكة .

ثانيا : تشريح العين: لن نطيل في تشريحها لأن هذا موضعه كتب الطب، ويكفي أن نشير إلى ما قاله أهل الطب باختصار شديد .فنقول:

تتكون العين من عصبين معلقين بالدماغ وعصب نوري أو بصري ثم تجويف العين (المحجر).

ثم غلاف العين المشيمي، ثم شبكية العين ثم قزحية العين ثم البؤبؤ ثم النقرة ثم العدسة ثم القرنية ثم سائل يغذيها ويمنعها من الجفاف، ثم غشاء الملتحمة ثم كيس الدموع في أسفل الجفن[3].

وطبقاتها ست: فالطبقة الأولى هي الحادثة وراء الرطوبات من العصب النوري وتسمى الشبكية.

والطبقة الثانية تبتدئ من طرف هذه الطبقة وتغشي ظاهر الجليدية وهي طبقة عنكبوتية.

والطبقة الثالثة : هي الطبقة المشيمية وهي غشاء رقيق كثير العروق.

الطبقة الرابعة: العنبية وهذه الطبقة ثخينة الجرم ظاهرها صلب.

---

(1) الأضداد لابن الأنباري (ص: ٢٩٣)، المذكر والمؤنث (٢/ ١١١).
(2) أخرجه أحمد (١٩/ ٤٨٥) ١٢٥٠٥ ، ومسلم (١/ ١٤٥) رقم ١٦٢.
(3) القانون في الطب (٢/ ١٦١- ١٦٢).

والطبقة الخامسة : تحدث من وراء الرطوبات من الغشاء الصلب فلذلك هذه الطبقة أصلب الطبقات الباطنة وفائدة ذلك أن تقوي العين على ملاقاة العظم ولا تتضرر بصلابته وتسمى هذه الطبقة : الطبقة الصلبة لأجل صلابتها، ومن قدام هذه الطبقة الطبقة القرنية: وهي الطبقة السادسة : وسميت هذه قرنية لأنها تشبه القرن المرفق بالنحت وهي شديدة الشفافية فلذلك ينفذ فيها الشعاع وهي أيضاً صلبة لأنها في ظاهر المقلة وأصلب أجزائها ما يحاذي منها الحدقة لأن هذا الموضع ليس وراءه ما يعتمد عليه عندما تصيب العين ضربة ونحوها .

والطبقة السادسة: الملتحمة، فإنها تحدث من أجزاء الغشاء الظاهر وهو المغشي لظاهر الرأس وغيره ويسمى السمحاق.[1] ونكتفي من قول المعاصرين بهذا التشريح مصورا[2] .

(1) تشريح القانون لابن سينا (ص: ٢٥٨- ٢٦٩، المناظر لابن الهيثم ص: ١ .

(2) أمراض العيون للدكتور روبرت والترز، ترجمة مارك عبود . ص١٠، طبع دار الثقافة العلمية للجميع بالسعودية.

هيكل / تركيب العين

تعتبر العين كروية الشكل تقريباً، ولكن جزءاً صغيراً فقط من العين هو الذي يكون مرئيًا. وتتم حماية العين بواسطة تجويف العين الموجود في الجمجمة، بالإضافة إلى طبقة الدهون التي تحيط بها.

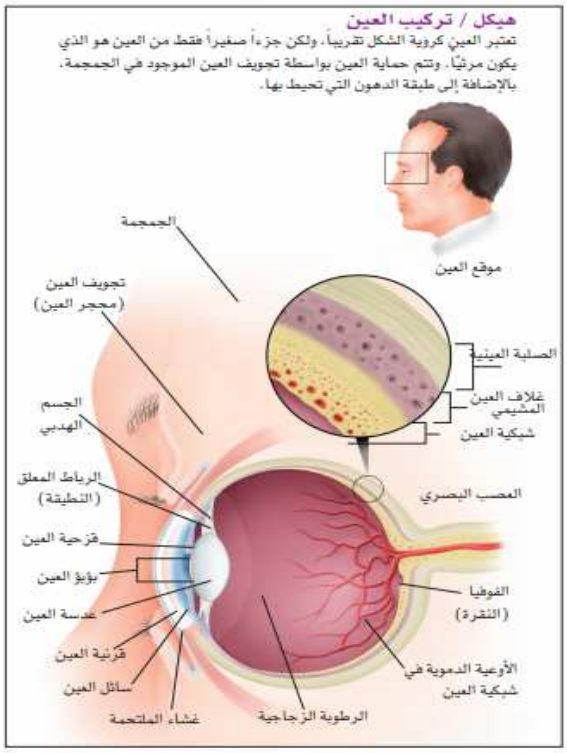

المبحث الأول

(أهمية العين وفوائدها)

تقدم معنا كم للعين من ملامح وأوصاف وأفعال، وكل ذلك ناشئ عن أهميتها التي لا تقل أهمية عن القلب والعقل، صحيح أن القلب والعقل لا حياة بدونهما لكن العين هي بريدهما ويتعبان كثيرا بدونها، وحتى لو تعلم الأعمى فإن علمه لا يتأتى بدون عيون الآخرين، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال أيضا: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦] ثم أجاب سبحانه وتعالى فقال: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴾ [فاطر: ١٩، ٢٠] [(١)].

ومن هذه الأهمية ناب النظر عن العقل المنوط به التكليف، فقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١] وهذا ليس للنظر بل للتفكير، ولكن ناب النظر عن العقل الذي هو المتفكر، وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكل مؤمن: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ٥٠] وهذا أمر بالتفكير المحض وهي رؤية حكمية، وقال أيضا: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥] وهذا من أعظم الأشياء الدالة على التفكير، فقد كرر الأمر بالنظر مرتين، لنفكر جيدا وبإمعان؛ لأن في الآية إشارة للمتدبرين العاقلين في غاية الأدب والبلاغة، حيث ذكر الطعام وأن من يأكل محتاج كثيرا للسعي لجلبه ثم أكله ثم لتصريفه وهو عاجز عن ذلك إلا بخلق الله وتدبيره .

---

(1) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٦٧) .

وكذلك في الرؤية حيث كررها القرآن كثيرا جدا بمعنى التفكر والتدبر ، حتى أن الله تعالى كررها إحدى وثلاثين مرة كلها للتدبر والتفكر ، ومثلها في ذلك (ألم تروا) مرتين، و(ألم يروا) ٥ مرات، و(يرون) ٨ مرات، ولذلك فإن الله تعالى يوقع اللائمة على من أتيح له التفكر ولم يتفكر ، فقال تعالى عن اليهود المغضوب عليهم الذين عبدوا العجل: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٩] ثم بين عظيم كفرهم وعقابهم فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] (١).

وقال عن المشركين الذين لا يفكرون حتى في واقعهم فقال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦] (٢).

وكذلك الفعل (بصُر) يأتي بمعنى التفكر كثيرا، كما قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني أفلا تعقلون أفلا تتدبرون؟ [الذاريات: ٢١] وقال أيضا: ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [النمل: ٥٤] أي وأنتم تعقلون(٣).

وإذا لم يستعمل الإنسان صحة النظر لأجل صحة التفكير فهو أعمى القلب، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وهذا في غاية البلاغة القرآنية، فالله سبحانه لم يذكر البصر في صدر الآية، بل ذكر القلوب والآذان، ثم قال: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي عميت قلوبهم مع أن كل حواسهم تعمل،

(1) تفسير الرازي (٢٢/ ٩٠).
(2) تفسير الزمخشري (١/ ٦٧) .
(3) تفسير الرازي (٢٤/ ٥٦٢) .

لكن ذكر البصر نيابة عن كل ذلك؛ لأهمية دوره في التدبر والتعقل ونقل المعلومات، ثم زاد على وصفهم بالعمى بأنهم أشد ضلالا من البهائم، فقال تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ونفيُ الإبصار هنا نفيٌ لاستعماله، أو أنه لم يستعمله في مصلحة الدين أو الرشد، كما قال المفسرون (١).

ومن هذه الأهمية التي عرفناها تتضح فوائد النظر الذي خلقه الله تعالى لخلقه وخاصة الإنسان، فالعين يبصر الإنسان بها النور، قال تعالى:﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨].

والعين هي التي تصل الإنسان بالعالم العلوي والسفلي، قال تعالى: ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] مع أن الله يعلم في سابق علمه أنه أتاح للناس النظر في السماوات ومعرفتهم بالنجوم والكواكب والمجرات، وحركة ذلك كله، كما ذكرنا بقوله: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] وقوله: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦١، ٦٢] ونحن اليوم نقلنا ذلك بالتصوير الفائق في الدقة، فسهل على الناس النظر وبالتالي التدبر والتفكر، فيكون الخطاب أشد على أهل عصرنا.

وبالعين يميز الإنسان حقائق الأشياء، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٩].

(1) تفسير الرازي (١٥/ ٤١٠)، تفسير البيضاوي (٣/ ٤٣)، تفسير النسفي (١/ ٦١٩) .

وبها يرى طريقه، ويدفع عن نفسه الشر قال تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

فإذا نسي الإنسان هذه النعمة ولم يستعملها كما أمره ربه فإنه يحرم منها يوم القيامة ولا يحرم من جزء سواها لعظيم جنايته، انظر لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا *قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه:١٢٤- ١٢٦] (١).

**

(1) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٥) .

المبحث الثاني

أوصاف العين وأحوالها

تتميز العين بأوصافها الظاهرة التي لا تخفى، المحيرة في جمالها كيف خُلق، والمحيرة في قبحها كيف وجد، وكم هي مدهشة في خلقها الباطن وأدائها المذهل، وقد ذكر القرآن الكريم كل هذا، ووصفه وصفا دقيقا لم نكن نعرفه لو لا ذكر القرآن له، وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]

وبادئ ذي بدء نقول: إنه يوجد تداخل في موضوع صفات العين وأفعالها، فالنظر نفسه من أوصاف العين التي خلقها الله ناظرة باصرة ترى الكون الفسيح من حولها، وقد أعدها الله لذلك فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٠] لكن المطلوب التحكم في فعلها، فالبصر ممتد ولكن أمرنا الله بالتحكم فيه فلا نمده إلى ما لا ينبغي، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ١٣١] وقال أيضا: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ *وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

وهكذا في كثير من الصفات والأفعال، وسوف نشير إلى ذلك إن شاء الله كلما حصل تداخل، ولكن نبدأ بالصفات الخَلقية التي ليست من صنع البشر ، وهذه الصفات قسمان : صفات حسنة وصفات قبيحة .

الصفات الحسنة:

١- العين الناعمة وهي التي أنعم الله على صاحبها فظهر عليها أثر النعيم، ولا شك أنها مشاركة للوجه في كثير من الأحوال، كما قال تعالى: ﴿ تَعْرِفُ فِي

وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤] هذا في الآخرة وفي الدنيا أيضا عندما نرى إنسانا منعما نرى أثر النعيم على عينيه، ولذلك كان العرب لا يجيبون بنعم فقط بل يقولون: نعم ونعمَ عين، ونعمةَ عينٍ، ونعمةَ عينٍ، ونُعمى عينٍ، ونعامَ عينٍ، ونِعامَ عينٍ، ونعيمَ عينٍ، ونعامىَ عينٍ.(١)

وقد ترى النضرة في العين لوحدها، كما لو عاش فقير ساعات في نعيم فيرى على عينيه أثر النعيم، كما هو المشاهد .

٢- ومثلها العين الراضية، وذلك ملزوم من صفة الوجه، كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٨، ٩] وإذا ظهر على الوجه فيلزم منه ظهوره على العين، كما يطلق ذلك على الإنسان نفسه وعلى العيشة نفسها كما هو تعبير القرآن الكريم.

٣- العين الحالمة، وقد أثبت القرآن الأحلام للعين وعبر عنها بـــ (أرى) و(رأيت) كما في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] وقال أيضا: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وفي الأحلام تكون العينان مغمضتين، لكن يعبر عنها بالرؤية التي اصطلح على أنها رؤيا للتفرقة، والحلم والأحلام ليست من صفة العين بل هو القدر والقدرة الإلهيين، وخاصة عند المسلم، ولذلك كان يهتم بها النبي صلى الله عليه وسلم ويسألهم كل يوم بعد صلاة الفجر ، فقد جاء في الحديث عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ

(1) إيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٤٧٧)، العين للخليل (٢/ ١٦٢)، المعجم الوسيط (٢/ ٩٣٥).

بِوَجْهِهِ فَقَالَ: "هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا "[1] وفي لفظ عند النسائي: فَرُبَّمَا رَأَى الرَّجُلُ رُؤْيَا فَيَسْأَلُ عَنْهُ، فَإِذَا أُثْنِيَ عَلَيْهِ خَيْرًا كَانَ أَعْجَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ رَجُلًا صَالِحًا[2].

٤- عين كحلاء وكحيل، يقال:عين كحلاء: بينة الكَحَل، وكحيل، ومن هنا يقولون: ليس التكحل كالكَحَل[3].

٥- عين نجلاء أي بينة النجل، أي واسعة ظاهرة، ويقال له: البرج أيضا، وهو سَعَةُ الْعين فِي شِدَّة بَيَاض بَياضِها[4].

٦- عين حوراء، يُقالُ: عينٌ حوراءُ، إِذَا كانَ بياضُها نقياً وسوادها شديدا، والحوراء تجمع على حور كما تكرر ذلك في القرآن كثيرا[5].

٧- وعين دَعْجَاءُ هي مثل الحوراء، قال جميل بثينة:

سوى دعج العينين والنعج الذي به قتلتني حين أمكنها قتلي[6].

٨- وعين ناعسة وناعس، وَالْجَمْعُ نَوَاعِسُ، وهو من النعاس وأصله مقاربة النوم، قال الشاعر:

وَسْنانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِه سِنَةٌ، ولَيْس بنائِمِ[7]

---

(1) أخرجه مسلم ٤/ ١٧٨١ رقم ٢٢٧٥، والترمذي ٤/ ١١٦ رقم ٢٢٩٤، وابن حبان ١٠/ ٤٦٥٩ كلهم مختصرا، وبنحوه البخاري ٢/ ١٠٠ رقم ١٣٨٦، وأحمد ١٩/ ٣٧٨ رقم ١٢٣٨٥، وأبو داود ٤/ ٣٠٤ رقم ٥٠١٧ .

(2) السنن الكبرى للنسائي (٧/ ١٠٣).

(3) أساس البلاغة (٢/ ١٢٤) .

(4) تهذيب اللغة (١١/ ٤٠)، جمهرة اللغة (١/ ٤٩٢)، إصلاح المنطق (ص: ٤٥) .

(5) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص: ٢٣٨)، جمهرة اللغة (١/ ٤٩٢) إصلاح المنطق (ص: ٤٥).

(6) العين (١/ ٢٢٠) فقه اللغة وسر العربية (ص: ٦٢).

(7) لسان العرب ٦/ ٢٣٣ قَاله عَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ، وينظر المصباح المنير ٢/ ٦١٣، وتاج العروس ١٦/ ٥٥٧.

ولا يقصدون هذا المعنى لحقيقته بل يتغزلون بالعين الناعسة والفاترة والمريضة لأنها تكون أهدابها طوالا فتنسدل على الجفن كالعين المريضة الكليلة، قال الشاعر:

يشكو إليك القلب من ضعفه فتور عينيكِ المراض الصحاح[١]

وقال آخر :

وما شفائي وسقامي سوى لواحظ الغيد المراض الصحاح[٢]

وهو كثير في شعر العرب .

٩- وعين فاترة وطرف فاتر ، وجمعه فواتر، قال الشاعر:

ما فتَّرتْ في قتلنا تلك المكحَّلةُ الفَواتر [٣]

وقال غيره:

والذي يعشق الملاحة يفنى في العيون الفواتر الناعسات[٤]

وقال آخر:

فترتْ لواحظُكِ المراضُ ولم تَزَلْ تلكَ الفواترُ بالقلوبِ فواتكا[٥]

١٠- وعَيْن شَكْرَى ممتلئة والممتلئة بالدمع السائل، يقال: ضرة شكرى: ممتلئة. وفدرة شكرى، وفدر شكارى: سيالة دسماً. قال الراعي:

تبيت المحال الغرّ في حجراتها شكارى مراها ماؤها وحديدها[٦]

١١- وعَيْن حدْرة أيْ كَبِيرَة ، وقالوا: عَينٌ حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ: أَيْ عَظيمةٌ [٧]

---

(1) ديوان عبد الغفار الأخرس (ص: ١٩٤).
(2) ديوان عماد الدين الأصبهاني (ص: ٦١) .
(3) ديوان ابن الرومي (ص: ٢٢٤٠) .
(4) ديوان عبد الغني النابلسي (ص: ٩٣).
(5) دواوين الشعر العربي على مر العصور (٣٣/ ٣٣١).
(6) فقه اللغة وسر العربية (ص: ٦٢)، المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٦٨١)، أساس البلاغة (١/ ٥١٧).
(7) فقه اللغة وسر العربية (ص: ٤٠)، الإتباع (ص: ٢٦).

١٢- وعين قريرة أي باردة قال الشاعر :

فكمْ سخنتْ بالأمسِ عينٌ قريرَةٌ وَقَرَّتْ عُيُوناً دَمعُهَا الْيوْمَ سَاكِبُ[١]

ولكن تستعار للفرحة والمتعة والنعمة،[٢] وقد ذكرت في القرآن كثيرا، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان ٧٤] وقال أيضا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩].

١٣- وعَيْن ثَرَة كثيرة الدموع، وعين الماء ثرة إذا كانت غزيرة الماء [٣].

١٤- وعين مترعة وجفن مترع مثل سابقه[٤].

١٥- وعين مغرورقة ويقال: طرف مغرورق، مثل سابقيه، كثير الدموع[٥].

الصفات السيئة للعين:

الصفات السيئة هي ضد كل ما تقدم، ولن نطيل بذكر ذلك، ولكن ذكر بعض أهل اللغة أوصافا خاصة في الذم، منها:

١- العين الجاحظة وهي الناتئة، المندلقة إلى الأمام، ويقال لصاحبها: جاحظ ، ويقال: جحظت عينه إذا نتأت لقدام [٦].

---

(1) ديوان ابن عبد ربه الأندلسي (ص: ٢١).

(2) مقاييس اللغة (٥/ ٤٤٦).

(3) العين (٨/ ٢١١)، فقه اللغة وسر العربية (ص: ٦٢)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٣٤٥).

(4) فقه اللغة وسر العربية (ص: ٦٢)، المزهر في علوم اللغة (١/ ٣٤٥)، البلغة الى أصول اللغة (ص: ١٢١)

(5) المراجع السابقة

(6) تهذيب اللغة (١٢/ ١٠٣)، الصحاح (٣/ ١١٧١)، الفرق بين الضاد والظاء (ص: ٤١).

٢- وجفن أمعط إذا كان قليل الشعر، ويقال للإنسان أمعط إذا كان خبيث العين، تشبيها بعين الذئب الخبيثة.[١] وسيأتي مزيد بيان لها في العين الحاسدة في المبحث التالي، إن شاء الله تعالى.

٣- العين اللامّة، وهي الحاسدة التي وردت فى الحديث " أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ "[٢] وسيأتي بيانها في العين الحاسدة في المبحث التالي إن شاء الله.

٤- العين الحسيرة والطرف الحسير والبصر الحسير الذي لم ينل ما يريد فكلّ وتعب، وقد ذكر ذلك القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣، ٤] وقال بعضهم: الخاسئ والخاسر واحد ، ولكن في (خسئ) نوع من الإهانة.[٣]

**

(1) العين (٢/ ٢٨). جمهرة اللغة (٢/ ٩١٧).

(2) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٧) رقم ٣٣٧١ وأبو داود (٤/ ٢٣٥) رقم ٤٧٣٧، والترمذي (٣/ ٤٦٤) رقم ٢٠٦٠، وابن ماجه (٢/ ١١٦٤) رقم ٣٥٢٥، وأحمد (٤/ ٢٠) رقم ٢١١٢ .

(3) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٩٨)، تفسير ابن عطية (٥/ ٣٣٨).

المبحث الثالث

أفعال العين وحركاتها

العين لها صفات وأفعال خاصة بها، صحيح أنها تأتيها الأوامر من الإرادة التي يشترك فيها العقل والقلب لكن الفعل ينسب إليها، فيقال: بكت عينه وفاض دمعه ومد بصره وغض طرفه، كما يقال: أخذ بيده ومشى برجله، وإنما ينسب الفعل للجزء لأنه هو المباشر للفعل.

ومهما يكن من قول فإن للعين أوصاف محضة ملتبسة بها وليست من كسبها ولا دخل لها فيها، وقد تقدمت في المبحث السابق، وأوصاف ناتجة عن أفعال هي من كسبها لكن قد لا تؤاخذ عليه كالبكاء مثلا ، وقد تؤاخذ عليه كالنظر المحرم والغمز واللمز ، وسوف نبين ذلك كله إن شاء الله، مع ضوابطه ودون استقصاء للمادة كلها بل نذكر ما يتعلق بالعين، لكن سنبدأ بالأفعال الحسنة ثم نعقب ذلك بالأفعال القبيحة.

أفعال العين الحسنة:

أولا: البصر المتأمل . يكاد يجزم الحافظ المطلع على القرآن الكريم أن الله لم يخلق البصر ومسمياته المتقدمة إلا للتأمل، من كثرة ما ذكر الله في كتابه: (ألم تر. ألم يروا . أفلا يرون . انظروا. أفلا ينظرون. أفلا يبصرون) ذكر الله ذلك مئات المرات يدعونا فيها إلى التأمل والتفكر والتدبر؛ لأن العين هنا متصلة بالعقل حسا ومعنى، لندرك أسرار هذا الكون من خلال التأمل والتفكير، فهو نظرٌ يستخدم فيه الإنسان عقله لتحليل مظاهر هذا الوجود الفسيح في كل الآفاق ما قرب منها وما بعد ، وما صغر وما كبر. فالقرآن يدعو للنظر في النفس ونشأتها وأسرارها ، والسماء وعظمتها ومحتوياتها، والأرض ومكنوناتها، ولم يكتف القرآن بالدعوة إلى تلك المظاهر الكونية بل تعداها للنظر إلى السنن

الربانية المرتبطة بوجوده والأحداث التاريخية التي وقعت في هذا الوجود الذي خلقنا فيه.

ها هو سبحانه يقول: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ *يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٥ – ٩].

ويقول: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا *ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا *وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ – ٣٢].

ولو علم الإنسان أسرار هذه العين فقط لغرق في بحار عظمة الخالق، علما بأننا لم نتعرف بعد على كل أسرارها:

قل لمـــن يفهم عني ما أقول — قصر القول فـــذا شرح يطـــول
أنـــت لا تـــــدر إيـــــاك ولا — تدر من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تـــدري صفات ركِّبـــت — فيك حارت في خفاياها العقـــول
ثـــم ســـر غامض من دونـــه — قصرت والله أعنـــاق الفحـــول
كيف تحكي أم ترى كيف ترى — ولعمري ليـــس ذا إلا فضول[1]

ثانيا: الفرح، وقد تقدم معنا العين الفرحة والناعمة والقريرة، فقرة العين والفرح ذكرهما القرآن، وعلمنا متى نفرح ومتى لا نفرح، فقرة العين وقرارها ذكره الله تعالى فقال لسيدتنا مريم ولكل مؤمن تقي: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ [مريم: ٢٦] وقال لموسى عليه السلام: ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [طه: ٤٠] وقال تعالى أيضا: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص: ١٣] وكذا عن امرأة فرعون: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ

(1) العرش للذهبي (٢/ ٣٨٨)، وعزاه لابن غانم المقدسي.

فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩] (١) .

كما يجوز للمرأة أن تفرح بزوجها قال تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥١] ويجوز لكل مسلم أن يقر عينه بهداية ربه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] ووعدنا تعالى بقرة العين فقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] (٢) .

وكذلك ذكر الله الفرح وأمرنا به في طاعته: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] وسامحنا بالفرح الطبيعي بالنعمة لكن بشرط الرضا عند فقدانها فقال تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ [الشورى: ٤٨] وقال أيضا: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٣٦] (٣).

وبين لنا أن الفرح العظيم هو بلقاء الله تعالى فقال عن الشهداء:﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

ونهانا سبحانه وتعالى عن الفرح في المعاصي واللهو فقال: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١].

---

(1) تفسير الطبري (١٨/ ٣٠٠).

(2) تفسير البغوي (٣/ ٦٠٢) أ.

(3) تفسير النسفي (٢/ ٧٠١) ق.

وبين الفرح المنهي عنه فقال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] وقال:﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢] وقال:﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] وقال: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٣] (١).

وقال عن فرح الكافرين: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠] (٢).

وقال عن الفرح الكاذب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨] وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦].

ثم ذكرنا ربنا بأن الفرح في غير ما يرضيه ستكون عاقبته ندامة وحزن وعذاب فقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥] (٣)

(1) تفسير الرازي (٢٥/ ١٥).
(2) معانى القرآن للأخفش (١/ ٢٣٢).
(3) تفسير الطبري (٢١/ ٤١٨) .

ثالثا: البكاء ، والبكاء والحزن والدمع أيضا مذكورون في القرآن الكريم، وقد يكون البكاء من الفرح كما قد يكون من الحزن وقد يكون من الخوف، والبكاء حركة فطرية ترتسم على الوجه لتعبر عن حالة وجدانية أو عاطفية يكون منشؤها الحزن أو الألم، أو تأثر الوجدان أو تحرك العاطفة كما يحدث عند شدة الفرح، أو الشعور بالإجلال والعظمة واستحضار معاني التقديس عند التأمل في آيات الله المبثوثة في الآفاق والناطقة بصدق الرسالة المحمدية مما يولّد تأثيرا عميقا ومباشرا على مشاعر النفس(١) .

وأكثر أنواع البكاء قد يغلب الإنسان وليس بيده أن يدفعه، بل بيد الله تعالى كما قال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ [النجم: ٤٣].

وقد صور لنا القرآن صورة بليغة لحالة الحزن الشديد الذي كان يكظمه سيدنا يعقوب عليه السلام يدافعه تارة ويغلبه تارة، في أعظم صورة من صور الحزن البشري الذي غلب صاحبه في النهاية، قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ* قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٨٤ – ٨٦] فالقرآن بين لنا أنه حاول كظم الحزن ولم يزد على البكاء ، وهذا جائز في شريعتنا وشريعة من قبلنا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» (٢) .

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ٢٠٥).

(2) أخرجه البخاري (٢/ ٨٣) رقم ١٣٠٣، ومسلم (١٨٠٧/٤ رقم ٢٣١٥)، وأبو داود (١٩٣/٣ ، رقم ٣١٢٦)، والترمذى (٣٢٨/٣ ، رقم ١٠٠٥)، وابن ماجه (٥٠٦/١ ، رقم ١٥٨٩) ، وعبد بن حميد (ص ٣٨٥ ، رقم ١٢٨٧و ١٠٠٦)، والطيالسى (ص ٢٣٥ ، رقم ١٦٨٣)، وابن حبان (١٦٢/٧ ، رقم ٢٩٠٢) .

بل هناك بكاء مرغوب، ذكره القرآن ورغبنا فيه، حيث مدح الذين يبكون من خشية الله تعالى ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩] وقال أيضا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] وقد رغبنا النبي صلى الله عليه وسلم في مثله فقال: " ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا"[١] وفي لفظ محدد قال عليه الصلاة والسلام: " إن هذا القرآن نزل بحزن وكآبة فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا "[٢].

ولهذه الحالة الجميلة البديعة التي يفهمها المترفون خطأ يصور لنا القرآن صورة أولئك الذين يبكون من خشية الله، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ *فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٣ – ٨٥] وعلى خُطى هؤلاء الخاشعين حثنا القرآن أن نسير على هذا السير ، كما فعل الصحابة الأخيار ، لنبكي مثلهم على ما فاتنا من الخير لا على الدنيا، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى

(1) أخرجه ابن ماجه ١٤٠٣/٢ رقم ٤١٩٦، وأبو يعلى ١٦١/٧ رقم ٤١٣٤، وحسنه الهيثمى ٣٩١/١٠.

(2) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤/١ ، رقم ١٣٣٧)، وأبو عوانة (٢/ ٤٧٣) رقم ٣٨٨١ وأبو يعلى (٤٩/٢ ، رقم ٦٨٩)، والبزار = البحر الزخار (٤/ ٦٩) رقم ١٢٣٥.

الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢].

فيا لله كم نحن بعيدون عن خشية الله، وكم نحن ثرثارون عند ما نناقش مثل هذه الآيات وهذه الأحاديث، والتي قد يظن البعض أن الله لم يخلقنا للحزن بل خلقنا للفرحة والبهجة، ونكرر قول المترفين: اضحك تضحك الدنيا معك وابك تبك وحدك، وأصبحنا نظن أن الدنيا متعة فصرنا نضحك ونلهو بصخب في بيوتنا ومواصلاتنا وعملنا وإعلامنا حتى غرقنا في المعاصي ونسينا خشية الله تعالى، ولم نعد نبكي على خطايانا، التي أُمرنا بالبكاء عليها، قال رسول الله عليه وسلم : " أملك عليك لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ على خطيئتك"[1] وهؤلاء الذين يعترضون على هذا الأسلوب هل بكوا دقيقة وهل نثروا الدمع ثوان معدودة من خشية الله ؟ أم هي الثرثرة فحسب؟ ! ألا نرى أن الله سجل دمعات هؤلاء الفقراء في كتابه إلى أبد الآبدين .

ولهذا يتعجب منا ربنا كيف لا نبكي عند سماع القرآن فقال سبحانه: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم: ٥٩، ٦٠] وأنذر الذين يضحكون كثيرا أنهم سيطول بكاؤهم كثيرا فقال: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢].

لكن قد يكون البكاء تصنعا، ونبهنا الله تعالى إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦] فهو بكاء مكذوب لم يصدقه أبوهم بل ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

---

(1) أخرجه الترمذي (٦٠٥/٤ رقم ٢٤٠٦) وحسنه. وهناد في الزهد (٥٤٥/٢ رقم ١١٢٦). وأحمد (٢٥٩/٥ رقم ٢٢٢٨٩)، والروياني في مسنده (١٤٦/١ رقم ١٥٨)، والطبراني في الكبير (١٧٠/١٠ ، رقم ١٠٣٥٣).

وهؤلاء المترفون والكاذبون لن يضروا أحدًا بل يضرون أنفسهم ولن يبالى بهم أحد، قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩] نعم السماء لها عيون وتبكي والأرض لها عيون وتبكي، ولكن لا تبكيان إلا على الصالحين، قال صلى الله عليه وسلم: " إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَكَى عَلَيْهِ مُصَلَّاهُ مِنَ الْأَرْضِ، وَمَصْعَدُ عَمَلِهِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾.

رابعًا: غض البصر: وهذه المسألة هي التي تحاسب عليها العين ويسأل عنها الإنسان، والمراد بغض البصر خفضه، وعدم النظر إلى ما حرم الله، وكل شيء كففته فقد غضضته [1] .

ولقد أمرنا القرآن الكريم بغض البصر تدينا وكرامة وخلقا، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣٠، ٣١]

وغض البصر هو غلق لباب كبير من المحرمات، بل النظر إلى ما حرم الله هو أم الفواحش، وهو الذي أُتينا به من قبل أعدائنا، وهو أول سلاح تغلبوا علينا فيه، منذ أن كانت نساء السفراء والقناصل وبناتهن يسرن في شوارعنا بلا قيود ، صحيح أنه يقال للخمر: أم الفواحش، ولكن لا جدال فيها وما زالت

(1) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٨٣).

محرمة في نظر المسلمين جميعا، أما غض البصر والنظر إلى المرأة المحرمة فقد مسحت من قانون المسلمين، وأصبح الجدل في الحجاب والنقاب لا ينتهي، حتى بين علماء الدين وشيوخ المسلمين، ولعلنا أمام تطرف النقاب نظن أننا انتصرنا عليه وحجّمناه خاصة من النواحي الأمنية، وكلنا ينحني أمام الأمن ونتناقل الأنباء عن مسلح منتقب وخاطف للأطفال ولص يدخل البيوت والأماكن العامة، مما يجعلنا نضع أيدينا على قلوبنا خوفا على أنفسنا وأولادنا، وننسى في هذه الهوجة كلها أن الحجاب مشروط بعدم الزينة وعدم الفتنة، ولذلك أتبع الله الأمر بغض الأبصار الأمر بعدم التزين، وإذا سمح بظهور الوجه فلا يسمح بظهور الزينة بتاتا، وإذا كان هناك زينة فيجب إخفاؤها لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ يعني لو كانت المرأة تلبس خلخالا لا يجوز لها أن تضرب برجلها حتى لا يسمع صوت الخلخال، فعليها أن تمشي الهوينا حتى لا تلفت الأنظار، وكذلك زينة المعاصم التي عليها الأسورة، ومثل ذلك مساحيق الزينة أحمرها وأبيضها وأزرقها، بلا جدال بين الأمة كلها[1] .

ومثل ذلك أيضا الذي يصف والذي يشف، تركنا كل هذا ونظرنا إلى غطاء الرأس، فترى المرأة وقد غطت رأسها ولكن رائحتها تلفت الأنظار وزينتها تذهب بالألباب، فماذا فعلت؟ والأب والزوج والأخ راضٍ تمام الرضا عن حجاب محارمه بهذا الأسلوب، فقد يشدد عليها في حجاب الرأس وينسى ما هو أهم من ذلك بكثير ، يهتم الناس بغطاء الرأس وينسون أو يتناسون أن الله أمر بإخفاء الزينة مع أمره بغض البصر ، لقد أصبح الحجاب منفلتا بلا قيود بين المسلمين، وأصبح الرجل لا يسيطر على زوجته إذا خرجت بزينتها وعطرها الفواح بل ينتظرها لأكثر من ساعة حتى تتم زينتها وهما خارجان لأي مكان،

(1) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٣٧)، البحر المحيط (٨/ ٣٦) .

لا يستطيع احتجاجا وإلا فهو مهدد في عيشته، ومحاصر في وظيفته وشارعه وبكل وسائل الإعلام وحتى في غرفة نومه[١].

بعد هذا هناك أمر للرجال يشرع هذا النظر، فمنها ما هو مفاجيء ومنها ما هو متعمد، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة"[٢] ليكون غض البصر تدينا وخلقا مريحا للمجتمع، كما كان تكرما في الجاهلية التي يقول شاعرها:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها[٣]

خامسًا: مد البصر: مد البصر أصله التطلع، وهو من مدَّ الشيءَ إذا زاده ، وهذا التعبير من أدق ما رصد القرآن الكريم من أحوال العين، وكأن العين من شدة إعجابها بالشيء تمتد كاليد لتأخذ ذلك الشيء المراد ، فقال تعالى : ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨]وقال أيضا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ١٣١] فهاتان الآيتان تبينان أن العين هنا مسئولة، لا يجوز أن تمتد إلى ما ليس لها، كما لا يجوز أن تمتد إلى ما لا يصلح لها، والذي يحدد ذلك هو الدين والأخلاق والنفس الكريمة الأبية، ففي الآية الأولى نهى عن مد البصر إلى نساء الآخرين، وأنه يجب ألا نحزن عليهم لما هم فيه من الضلال،[٤] والثانية تمنع النظر إلى

---

(1) التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٠٤ .

(2) أخرجه ابن أبى شيبة (٦/٤ رقم ١٧٢١٨)، وأحمد رقم ١٣٦٩، وأبو داود (٢٤٦/٢ رقم ٢١٤٩)، والترمذى رقم ٢٧٧٧) وقال : حسن غريب، والرويانى (٦٩/١ رقم ٢٢)، والحاكم (٢١٢/٢ رقم ٢٧٨٨) وصححه .

(3) ديوان عنترة (ص: ١١٧)، نهاية الأرب لابن عبد الدائم (١٥/ ٣٣٨)، العقد الفريد لابن عبد ربه (٦/ ٣).

(4) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٦) .

زينة الدنيا ولا لمن وقع في فتنتها، فإن الله سيرزقنا بالحلال أفضل مما عندهم، كما نهى الله تعالى من كان حول قارون وقالوا: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩] وقص علينا من ندمهم فقد أهلكه الله مع كثرة ما كان عنده، فما عندهم ينفد وحرامهم يزول، ويبقى لنا رزقنا وأولادنا بلا فتنة ولا منغصات، وهكذا عوض الله النبي عن زهرة الدنيا فتزوج بنات الملوك والأمراء كصفية والهلالية والحارثية والمصطلقية،[1] إضافة لما عنده من النساء التقيات البررة.

ومن هنا أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن لا نمد أبصارنا مطلقا إلى من هو فوقنا في أي نعمة بل ننظر إلى من هو أسفل منا، قال صلى الله عليه وسلم: " انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ "[2] .

سادسًا: خشوع البصر . خشوع البصر هو تنكيسه وانكساره ورميه نحو الأرض[3] .

وقد ذكر الله الخشوع في القرآن على نوعين: خشوع للقلب وامتدحه في خمس آيات، وخشوع للبصر وذمه لكن يوم القيامة، وقد رسم لنا صورة بلاغية رهيبة فقال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ [النازعات: ٨، ٩] وهو تصوير دقيق يرصد لنا هول الموقف على المخلوقات وخاصة الإنسان، القلوب ترتجف والأبصار خاشعة والأصوات خاشعة، وعلق الأبصار في هذه الآية بالقلوب؛ لأن القلب والعين هما اللذان يظهر عيهما الخوف، والناظر يرى

(1) البحر المحيط (٥/ ٥٥)، التحرير والتنوير (١٦/ ٣٣٩).

(2) أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق (ص: ٣١٢) رقم ١ ، وبنحوه أحمد ٢١٥١٧، وابن حبان رقم ٤٤٩ ، والطبراني في الدعاء (ص: ٤٧٠) رقم ١٦٤٨ .

(3) مقاييس اللغة (٢/ ١٨٢)، المخصص (٤/ ٦٣).

خوف العين ويشعر باضطراب القلب الذي يظهر على حركة الجسم كله، لكن هناك يظهر مع الخوف الذلة، فتزداد الصورة رعبا يقول تعالى:﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣] وقال أيضا:﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤] لأنهم يعلمون أنهم سيساقون إلى الإله الذي عصوه ولم يتبعوا منهجة ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ [القمر: ٧] يسارعون إلى الهرب مع الحسرة والندامة حتى إذا أعياهم الهرب وتساقطوا سحبتهم الملائكة على وجوههم إلى جهنم وقد خُطفت أبصارهم وصُمّت آذانهم وانقطعت أصواتهم: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧][(١)].

سابعًا: ترجيع البصر: ترجيع البصر هو ترديده بين المد والعودة به،[(٢)] ورَجْع البصر تكريره، والرجْع العود إلى الموضع الذي يجاء منه، والرَّجع يقتضي سبق حلول بالموضع، ثم هو درجات أقلها لمح البصر الذي عبر عنه القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] وهناك شيء لا نعلمه عما هو أقل منه قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] فالإنسان لا يدري ما هو أقرب من لمح البصر،[(٣)] وهناك درجات أخرى ذكرها الله تعالى فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣، ٤].

---

(1) التحرير والتنوير: ٢٧ / ١٧٧.

(2) تاج العروس (١٠/ ١٩٧) .

(3) وهو غير الثانية الضوئية التي تساوي ٢٩٩٧٩٢٤٥٨ مترا قريبا من ٣٠٠٠٠٠ كم.

ففي هذه الآيات دعوة مفتوحة لهذا الإنسان أن يتمهل في نظره، مقترنة هذه الدعوة بالتحدي للنظر في السماوات السبع التي يدل بديع صنعها على عظمة صانعها، واللافت في تلك الدعوة هو طلب ترجيع البصر كرتين وكرات للتأمل الناقد البصير، الذي يريد الوصول إلى أسرار الصنعة الدقيقة المتقنة على عظمتها؛ ليحاول اكتشاف أي مظهر يدل على أي خلل يعتريها مهما كان يسيرا، وقد أفاد التعبير بقوله تعالى: " فارجع " رصدا لحركة العين في تحديقها في عالم السماء ثم الرجوع بالبصر إلى الأرض مع حركة بارزة للرأس رفعا وخفضا: ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ أي: أعد النظر، وهو النظر الذي دل عليه قوله : ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ أي أعد رؤية السماوات وأنها لا تفاوت فيها إعادة تحقيق وتبصُّر مع العلم، والاستفهام في ﴿هل ترى من فطور﴾ تقريري ووقع بـــ (هل) لأن (هل) تفيد تأكيد الاستفهام إذ هي بمعنى (قد) في الاستفهام، وفي ذلك تأكيد وحث على التبصر والتأمل، أي لا تقتنع بنظرة ونظرتين ، فتقول : لم أجد فُطوراً بل كَرّر النظر وعاوده باحثاً عن مصادفة فطور لعلك تجده [1]" .

ثم بعد ذلك تعود الآية الكريمة لتصور لنا حال العين بعد تكرار بحثها عن أي مظهر لعيب في خلق السماء من شقوق أو صدوع بعد أن أعياها البحث وأتعبها دون الوصول إلى المراد فانقلبت خاسئة يائسة ، فصورة العين هنا منكسرة يكاد التعبير يبرزها للمشاهد تكاد أجفانها تنطبق على بعضها من شدة الإجهاد والذل الذي أصابها بعد بحثها المضني، والذي لم يوصلها إلى ما وقع به التحدي في وجود تفاوت في خلق السماء ، فالسماء فوقنا لا نجد فيها إلا الاتساق والانتظام، فلا تصدع ولا انفطار، تجري كواكبها ونجومها منذ أن

(1) التحرير والتنوير : ٢٩ / ١٨.

خلقها لم تتأخر لمح بصر، فلننظر إلى مواقيت الصلوات هل تغيرت؟ ولننظر إلى مواقيت الشمس هل تغيرت منذ أن رصدها القدماء من آلاف السنين .

ثامنا: تقليب البصر : وهذا مثل الترجيع للبصر في الآية السابقة، يتقارب في الحركة مع تقليب البصر رغم الاختلاف في الغرض والمقصد ، فحركة العين في الصعود والهبوط واحدة ، فالبصر يتقلب بتقلب الوجه الناشئ من حركة الرأس، وهذا التصوير للمعنى جاء في قوله تعالى:﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤].

فالآية المذكورة نزلت تلبية لرغبةٍ خجلة أضمرها النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه، حيث كان يتمنى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، كي لا يشارك اليهود في نفس القبلة، فكان يحنّ إلى قبلة جده إبراهيم، وقد دفعته تلك الرغبة إلى ترداد بصره وتقليبه في السماء ، ترقبا لنزول جبريل عليه السلام بالتحويل، وقد أخفى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الرغبة في نفسه، ولم يسأل الله تعالى تحقيقها له تأدبا معه ، وهنا يربط الله تعالى بين البصر والخواطر التي لا يطلع عليها إلا علام الغيوب؛ ليبين لنا اطلاعه على ذلك الفعل الخفي من العين.

تاسعا: العين المتعجبة المستفهمة: وهذا هو كلام العيون، يحدثنا عنه تعالى بقوله:﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

وهذه صورة أخرى خفية يحدثنا القرآن عنها كأنها تتكلم هامسة: ﴿ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يخبرنا كأن كل واحد يرمق الآخر من شدة التعجب، مع استفهام وحذر خشية أن تفضح أسرارهم؛ لأن الآية نزلت في معرض حديثها عن المنافقين فقد قال الله تعالى قبلها بآيات : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤] ويدل هذا على أنهم كانوا كاتمين تعجُّبَهم من ظهور أحوالهم خشية

الاعتراف بما نسب إليهم، ولذلك اكتفوا بالتناظر دون الكلام. فالنظر هنا نظر دال على ما في ضمير الناظر من التعجب والاستفهام، وجملة ﴿ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ بيان لجملة ﴿ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ }لأن النظر تفاهموا به فيما هو سرّ بينهم ؛ فلما كان النظر نظر تفاهم صح بيان جملته بما يدل على الاستفهام التعجيبي . فهي إذن صورة يختلط فيها تعبير العين بين خوف وتعجب واستفهام وحذر.(١)

وقد لاحظ الرازي في الآية ملحظا دقيقا فقال : إن ذلك النظر دال على ما في الباطن من الإنكار الشديد والنفرة التامة ، فخافوا أن يرى أحد من المسلمين ذلك النظر وتلك الأحوال الدالة على النفاق والكفر ، فعند ذلك قالوا: ﴿ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ أي لو رآكم أحد على هذا النظر وهذا الشكل لضركم جداً.(٢)

أفعال العين السيئة:

أولاً: العين الحاسدة .

الحسد ثلاثة أنواع ذكرها القرآن كلها: الحسد على النعمة قال تعالى:﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه﴾ [النساء: ٥٤] وقال تعالى أيضا: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥].

وحسد على زوال النعمة قال تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

---

(1) التحرير والتنوير : ١١ / ٦٩ .

(2) تفسير الرازي : ١ / ٢٣١٥ .

وحسد هو الإصابة بالعين قال تعالى:﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم: ٥١] وقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

وهذا الأخير شره مستطير ولذلك أمرنا الله بالتعوذ من شره ، يقال: إن الإصابة بالعين كانت في بني أسد، قال ابن الكلبي: كان رجل يتجوع ثلاثة أيام لا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين، فسأله الكفار أن يصيب النبي صلى الله عليه وسلم، فأجابهم إلى ذلك، ولكن عصم الله تعالى نبيه [١].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " العين حق "[٢] وفي لفظ آخر: " العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا"[٣].

وبين خطر هذه العين فقال: " أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله تعالى وقدره بالعين "[٤] .

وقال: " العين تدخل الرجل القبر وتدخل الجمل القِدر".[٥] ثم أمرنا عليه الصلاة والسلام أن نستعيذ بالله منها فقال: " استعيذوا بالله من العين، فإن العين

---

(1) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣٢٧)، تفسير ابن عطية (٥/ ٣٥٤)، تفسير القشيري (٣/ ٦٢٣).

(2) أخرجه أحمد (٣١٩/٢ رقم ٨٢٢٨)، والبخارى (٢١٦٧/٥، رقم ٥٤٠٨)، ومسلم (١٧١٩/٤ رقم ٢١٨٧) ، وأبو داود (٩/٤ رقم ٣٨٧٩)، وابن ماجه (١١٥٩/٢ رقم ٣٥٠٧) . وابن حبان (٣١٢/١٢ رقم ٥٥٠٣).

(3) أخرجه مسلم (١٧١٩/٤ ، رقم ٢١٨٨) الترمذى (٣٩٧/٤ ، رقم ٢٠٦٢) وقال : حسن صحيح غريب، والنسائى فى الكبرى (٣٨١/٤ ، رقم ٧٦٢٠) ، وابن حبان (٤٧٣/١٣، رقم ٦١٠٧) .

(4) أخرجه الطيالسى (ص ٢٤٢ ، رقم ١٧٦٠) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (٣٦٠/٤)، والبزار كما فى كشف الأستار (٤٠٣/٣ ، رقم ٣٠٥٢)، وصححه الهيثمى (١٠٦/٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٣٦) رقم ٣١١ والطحاوي في مشكل الآثار (٧/ ٣٣٨)، رقم ٢٩٠٠.

(5) أخرجه ابن عدى في الكامل (٤٠٧/٦ ترجمة ١٨٩٠ معاوية بن هشام القصار) ، وأبو نعيم في الحلية (٩٠/٧) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٤٤/٩)، وينظر صَحِيح الْجَامِع: ٤١٤٤، والسلسلة الصَّحِيحَة: ١٢٤٩ .

حق" [1] ومثل ما أمرنا بالتعوذ منها أمرنا أن نطلب الرقية أو نتعلمها. فقد روي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجَارِيَةٍ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَأَى بِوَجْهِهَا سَفْعَةً فَقَالَ: «بِهَا نَظْرَةٌ، فَاسْتَرْقُوا لَهَا» يَعْنِي بِوَجْهِهَا صُفْرَةً[2].

وفي رواية عن رافع بن خديج قال: دخلت يوما والقدر يفور فأعجبتني شحمة فأخذتها فازدرتها فاشتكيت سنة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّهُ كَانَ فِيهَا نَفْسُ سَبْعَةِ أَنَاسِيَّ» ثُمَّ مَسَحَ بَطْنِي فَأَلْقَيْتُهَا خَضْرَاءَ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا اشْتَكَيْتُ بَطْنِي حَتَّى السَّاعَةِ.[3]

ويعلمنا النبي رقية فقد ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: " إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ " [4].

---

(1) أخرجه ابن ماجه (١١٥٩/٢ ، رقم ٣٥٠٨) ، قال البوصيرى (٧٠/٤) : هذا إسناد فيه مقال . والحاكم (٢٣٩/٤ ، رقم ٧٤٩٧)، وأخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (ص ٣٤٤ ، رقم ١٠٦٣) ، والطبرانى فى الأوسط (١٠٧/٦ ، رقم ٥٩٤٥)، وللحديث طريق آخر عن كعب بن مالك : أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (ص ٣٤٢ ، رقم ١٠٥٣) . وينظر السلسلة الصحيحة ٧٣٧ .

(2) أخرجه البخاري (٧/ ١٣٢) رقم ٥٧٣٩ ومسلم (٤/ ١٧٢٥) ٢١٩٧ ، وعبد الرزاق (١١/ ١٦) رقم ١٩٧٦٩، وأبو يعلى الموصلي (١٢/ ٣٤٩) رقم ٦٩١٨.

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في المسند ١/ ٧٣ رقم ٧٥، والطبراني في الكبير ٤/ ٢٨٢ رقم ٤٤٢٩ وضعفه الهيثمي في المجمع: ٢٩٥/١٠ لأجل أبي أمية الأنصاري. ووثقه عن ابن سعد في تاريخ دمشق ٤٥/ ٤٥٨ وهو عمرو بن الحارث .

(4) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٧) رقم ٣٣٧١ وأبو داود (٤/ ٢٣٥) رقم ٤٧٣٧، والترمذي (٣/ ٤٦٤) رقم ٢٠٦٠، وابن ماجه (٢/ ١١٦٤) رقم ٣٥٢٥ وبنحوه الطبرانى في الكبير (٧٢/١٠ ، رقم ٩٩٨٤)، والبزار (٣٠٤/٤ ، رقم ١٤٨٣) .

وهناك وجه آخر لتعليم الرقية التي تقع بين الناس حيث الطرفان معلومان، فقد ورد عن أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْف، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ، وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشِعْبِ الْخَزَّارِ مِنَ الْجُحْفَةِ اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَكَانَ رَجُلًا أَبْيَضَ، حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَخُو بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: ما رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ فَلُبِطَ بِسَهْلٍ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ؟ وَاللهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، وَمَا يُفِيقُ، قَالَ: " هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟ " قَالُوا: نَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِرًا، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ وَقَالَ: " عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ هَلَّا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ؟ " ثُمَّ قَالَ لَهُ: " اغْتَسِلْ لَهُ " فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ، وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَيْهِ، يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ، وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ، يُكْفِئُ الْقَدَحَ وَرَاءَهُ، فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ .(١)

وقد وردت الرقية بالفاتحة(٢) وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنَى وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ

(1) أخرجه مالك ٩٣٨/٢ ، رقم ١٦٧٨، وأحمد ٤٨٦/٣ ، رقم ١٦٠٢٣، والنسائي (٨/ ١١) ٤٧١٧ وابن حبان ٤٦٩/١٣ ، رقم ٦١٠٥ والحاكم ٤٦٥/٣ ، رقم ٥٧٤٢ والطبراني في الكبير ٨٢/٦ ، رقم ٥٥٨٠ .

(2) أخرجه أحمد (١٠/٣ ، رقم ١١٠٨٥)، والبخارى (٧٩٥/٢ ، رقم ٢١٥٦) ، ومسلم (١٧٢٧/٤ ، رقم ٢٢٠١) ، وأبو داود (١٤/٤ رقم ٣٩٠٠) ، والترمذى (٣٩٨/٤ رقم ٢٠٦٣) وقال : حسن . والنسائى فى الكبرى (٢٥٥/٦ ، رقم ١٠٨٦٨)، وابن ماجه (٧٢٩/٢ ، رقم ٢١٥٦) .

سَقَمًا» [1] وفي حديث آخر: "من رأى شيئا يعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم تضره العين". [2] وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب.

ثانيا: زيغان البصر . ذكر الله الزيغ في القرآن ومعناه مجرد الميلان، سواء كان للعين أو للقلب، أو لغيرهما كما يقال: زاغت الشمس إذا مالت، وزاغ عن الطريق[3] وقد قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب: ١٠] لكن في هذه الآية تصوير للزيغان بشكله العجيب، حيث إن الأعين لما اسكثرت العدو الذي جاءها من فوقها ومن أسفل منها وعلمت أنه يصعب عليها لقاء العدو مالت يمينا وشمالا تتمنى النجدة والغوث، وفي الآية الثانية قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [ص: ٦٣] يصف الزيغ بصورة أخرى وهي أن العيون زاغت عن أشخاص يبحثون عنهم كأن العيون من شدة العذاب مالت إلى أماكن أخرى، أو أصابها غشي فلم تعد ترى ما تريد، أو كأنهم يسخرون من أنفسهم. وكل هذه المعاني والأحوال نفاها الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل العلو المطلق والأنوار الباهرة فقال تعالى:﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧].

---

(1) أخرجه البخاري (٧/ ١٣٢) رقم ٥٧٤٣، ومسلم (١٧٢٢/٤ ، رقم ٢١٩١)، وأبو داود (٩/٤ ، رقم ٣٨٨٣)، والترمذى (٥٦١/٥ ، رقم ٣٥٦٥) ، وابن ماجه (١١٦٦/٢ رقم ٣٥٣٠) وأحمد (٣٨١/١ ، رقم ٣٦١٥) .

(2) أخرجه ابن السني (عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني) (١/ ٢٦٤) رقم ٢٠٦، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٨٢ رقم ٥٥٨١)، والبزار – البحر الزخار – (١٣/ ٥٠٦) رقم ٧٣٣٩، وابن قانع في معجم الصحابة (١/ ٢٦٦ – ٢٦٧)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٢٣٧ – ٢٣٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢١٢) رقم ٤٠٦٠.

(3) مقاييس اللغة (٣/ ٤١)، الصحاح (٤/ ١٣٢٠)، لسان العرب (٨/ ٤٣٢).

ومن جهة أخرى نسب الله تعالى الزيغ للقلوب الذي لم يحصل للمؤمنين وإنما كاد فقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] ولكنه نبه على القلوب الزائغة التي تطلب غير الحق فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] وما دام أنهم فعلوا ذلك لم يستحقوا إلا ما فعلوه فجاء الجزاء من جنس العمل فقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] وبين جزاءهم في الآخرة فقال: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سبأ: ١٢] أما المؤمنون فعلى العكس هم الذين يدعون فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] ولذلك ثبتهم على الهدى .

ثالثا: تدوير البصر . قال الله تعالى:﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩] وسياق هذه الآية عن الجبن والخوف، والله تعالى يصف المنافقين بالجبن والخوف إلى أبعد حدودهما، ولا تجد هجاء عند الشعراء بمثل هذا أبدا إلا مَن استعار هذه الصورة، وذلك أن المنافق يبلغ به الخوف مبلغه بمجرد ذكر الجهاد، كمن حضره الموت وعاين ملائكة العذاب، وكما قالوا: إذا جاء الخوف طاشت من الرعب عقولهم، وطاحت بصائرهم، ولم تثبت على جهة محددة وتعطلت عن النصرة جميع أعضائهم.[1] وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ

(1) تفسير الماوردي (٤/ ٣٨٥)، وتفسير القشيري (٣/ ١٥٦)، والوسيط للواحدي (٣/ ٤٦٣).

الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٠] فهؤلاء المنافقون كانوا يوجهون أنظارهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين نزول القرآن متظاهرين بالإقبال عليه، فلما نزل الأمر بالقتال بهتوا من شدة الخوف، وأصبح حالهم كحال المحتضر عند الموت. ووجه الشبه ثبات الحدقة وعدم التحريك؛ أي ينظرون إليك نظر المتحيّر بحيث يتجه إلى صوب واحد ولا يشتغل بالمرئيات لأنه في شغل عن النظر.(١)

ومن هنا يقول ابن عاشور في تفسير الآية الكريمة مصورا حركة الأعين: (تدور أعينهم) حال من ضمير(ينظرون) لتصوير هيئة نظرهم نظر الخائف المذعور الذي يحدّق بعينيه إلى جهات يحذر أن تأتيه المصائب من إحداها، والدوْر والدوران : حركة جسم رَحَوِيَّة، أي : كحركة الرحى منتقل من موضع إلى موضع، فينتهي إلى حيث ابتدأ... أو أن (تدور أعينهم) بمعنى تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها محملقة إلى الجهات المحيطة، وشبه نظرهم بنظر الذي يغشى عليه بسبب النزع عند الموت فإن عينيه تضطربان.(٢)

رابعًا: بروق البصر . هذا لون آخر من ملامح العين التي سطرها القرآن الكريم، قال الطبري: بِفَتْحِ الرَّاءِ، بِمَعْنَى شَخَصَ وَفُتِحَ عِنْدَ الْمَوْتِ؛ وَقَرَأَ ذَلِكَ شَيْبَةُ وَأَبُو عَمْرٍو وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ، وبِكَسْرِ الرَّاءِ، بِمَعْنَى: فَزِعَ وَشُقَّ.(٣) وتبعه على ذلك كثير من المفسرين، وقال مقاتل: إذا شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب(٤) وقال الزجاج: من قرأ (بَرِقَ) فمعناه فَزِعَ وَتَحَيَّرَ. وَمَن

(1) تفسير البغوي : ٧ / ١٠٠ . التحرير والتنوير: ٢١ / ٢٨٠. و ٢٦ / ١٠٨.
(2) التحرير والتنوير: ٢١ / ٢٨٠. و ٢٦ / ١٠٨.
(3) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٧٨) وفي (٢٤/ ٥٦).
(4) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥١٠).

قَرأ (بَرَقَ) فهو من بَرَقَ يَبْرُقُ. مِنْ بَرِيق العَيْنَيْنِ إذا التمعتا وتوقفتا عن الرؤية[1].

وقال الزمخشري: بَرِقَ الْبَصَرُ تحيّر فزعا، وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره. وقرئ:برق من البريق، أى لمع من شدة شخوصه[2]، وقال أبو حيان: خَفَتَ عِنْدَ الْمَوْتِ أي انطفأ[3] وكلهم يعنون ذلك عند قيام الساعة لإضافته إليها قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ٧ – ١٢].

وهنا يذكر الله البصر مفردا معرفا بأل ليدل على جنس المبصرين وكلهم، ومعنى هذا تصوير للحدث الرهيب الذي تشخص منه أبصار المخلوقات كلها، عندما يأذن الله بقيام الساعة ويشاهدها كل ذي بصر، فتذهب الأبصار وتنخلع القلوب رعبا وتبقى المخلوقات على هذا الحال حتى تفنى، وبعد ذلك يختل نظام الكون وتطمس الأفلاك ثم تطوى السماوات ثم يموت كل مخلوق ولا يبقى إلا وجه الله العظيم .

خامسًا: شخوص البصر . وهذا ملمح آخر من ملامح العين، ويكاد يتشابه مع البروق السابق، إلا أن شخوص البصر المذكور في القرآن له صورتان صورة تشبه الصورة السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧] وهذه الآية جاءت بعد ذكر يأجوج ومأجوج فلزم أن تكون عند قيام الساعة. ولعل هذه لحظة سابقة على (برق البصر) فتلك ليس بعدها كلام، وهذا بعدها كلام وحسرة وندامة واعتراف بالذنب بعد فوات الأوان، وهذا

(1) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٥٢)، ونقله عنه الرازي (٣٠/ ٧٢٣).
(2) تفسير الزمخشري (٤/ ٦٦٠).
(3) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٣٤٦).

يحصل كله والبصر شاخص لا يتحرك ولا ترمش فيه العين؛ لأن شخوص العين هو عدم انغلاق جفنيها[1]، وهذه الصورة التي تظهر فيها الحسرة مقصورة على الكافرين كما هو نص الآية وهو دليل على أن الساعة لا تقوم على المسلمين، ولا تقوم وفي الأرض من يقول: الله، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى لا يقال: الله الله "[2] وفي رواية " لا تقوم الساعة إلا على شرار أمتى "[3]، وفي رواية " لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع ابن لكع "[4] .

والصورة الثانية هي قوله تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم:٤٢- ٤٣] قال علماء اللغة : يقال: هَطَعَ يَهْطَعُ هُطُوعاً وأَهْطَعَ: أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْءِ بِبَصَرِهِ فَلَمْ يَرْفَعْهُ عَنْهُ[5] والمُقْنِعُ: الَّذي يَرْفَعُ رأْسه يَنْظُرُ فِي ذلٍّ، والإِقْناعُ: رَفْعُ الرأْس وَالنَّظَرُ فِي ذُلٍّ وخُشُوعٍ.[6] و(وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) أَي: خَالِيَة لَا تعي خَبرا.[7]

---

(1) جمهرة اللغة (١/ ٦٠١)، الصحاح للجوهري (٣/ ١٠٤٢)، وتفسير القرطبي (١١/ ٣٤٢) تفسير النسفي (٢/ ٤٢١)، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٧).

(2) أخرجه أحمد ٢٥٩/٣ رقم ١٣٧٥٥ ومسلم ١٣١/١ رقم ١٤٨، وعبد بن حميد ص ٤١٤ رقم ١٤١٢، والترمذى ٤٩٢/٤ رقم ٢٢٠٧، وأبو يعلى ٢٣٤/٦ رقم ٣٥٢٦ وابن حبان ٢٦٣/١٥ رقم ٦٨٤٩.

(3) خرجه أحمد (٣٩٤/١ رقم ٣٧٣٥)، ومسلم (٢٢٦٨/٤ رقم ٢٩٤٩)، وابن حبان (٢٦٤/١٥ رقم ٦٨٥٠).

(4) أخرجه أحمد ٣٨٩/٥ رقم ٢٣٣٥١، والترمذى ٤٩٣/٤ رقم ٢٢٠٩، ونعيم بن حماد ٢٠٣/١ رقم ٥٥٤.

(5) الصحاح للجوهري (٣/ ١٣٠٧)، لسان العرب (٨/ ٣٧٢).

(6) لسان العرب (٨/ ٢٩٩) .

(7) تهذيب اللغة للأزهري (٦/ ٢٦٠)، مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٨٩٤).

وهكذا ترتسم الصورة المفزعة بشكلها، الهائلة برهبتها، المخيفة بمنظرها، أصحابها ينظرون بذل وخوف مما وقع لهم لا تتحرك أبصارهم، وقلوبهم فارغة كأن شيئا خرقها فلم تعد صالحة لشيء.

سادسًا: استراق البصر . ذكر الله تعالى استراق البصر كما ذكر استراق السمع، فقال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] وكذلك جاء في حديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه: فَكنت أُسَارِقُهُ النَّظَرَ،[1] وفي الصورة القرآنية نرى مسارقة النظر تلتبس بالخوف والذل والهلع، وكأنهم ينتظرون شيئا، كما ينتظر المأخوذ إلى الإعدام لعل الغوث يأتيه من أي مكان، ولكن الله آيسهم من الموت كما قال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧] ومع هذا يتمنون الموت ويأتيهم القنوط بعد التمني وما أفظع ذلك المنظر كما يصفه الله تعالى بقوله عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

سابعًا: العين الساخرة . ذكر الله تعالى خمسة أشكال متصورة للعين الساخرة: الهمز واللمز والغمز والازدراء والإغماض . وقبل كل شيء نقول: لا شك أن هذه الكلمات تختلف عن بعضها في شيء ما، ولكن لا أحد ينكر أنها تجتمع في معنى السخرية والانتقاص والاستهزاء والاحتقار ولو بوجه من الوجوه أو شكل من الأشكال، بل صرح كثير من اللغويين والمفسرين بهذا، وإذا اختلفت بعض الشيء فإن السياق يبينها ويدعمها[2]، وقد يقول الإنسان قولا عاديا ومن شكل عينيه يفهم الحاضرون ماذا يريد وماذا يقصد، ولذلك نهى الله

(1) أخرجه البخاري (٦/ ٥) رقم ٤٤١٨، ومسلم (٤/ ٢١٢٠) رقم ٢٧٦٩، والطيالسي (٢/ ٢٩١) رقم ١٠٣٤، وأحمد ط الرسالة (٢٥/ ٦٦) رقم ١٥٧٨٩، والطبراني في الكبير (١٩/ ٤٦) رقم ٩١ .

(2) الصحاح للجوهري (٣/ ٩٠٢)، تفسير ابن عطية (٤/ ٤٦٨) .

تعالى عن الكلمات التي تحتمل المعنيين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤] (١)

وقد ذكر الله تعالى السخرية والاستهزاء في سياق واحد كما ذكر الهمز واللمز كذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠] وكررها بنفس اللفظ في سورة الأنبياء: ٤١. وذكر الله تعالى السخرية ثماني مرات ولم يقرنها مع العين، وذكر الاستهزاء خمسا وثلاثين مرة ولم يقرنها بالعين أيضا، وكذلك الهمز لم يقرنه أيضا فقال: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] ومثله اللمز جاء غير مقرون كذلك فقال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٧٩](٢) وقال: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨] وقال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] وبيّن المفسرون أن كل هذا من باب الانتقاص والاستهزاء ينوب بعضه عن بعض (٣).

وذكر الله تعالى الغمز ولم يقرنه بالعين أيضا مع أنه متصور منها فقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٣٠] وقد بيّن علماءُ اللغة أن الغمر هو الإشارة بِالْعَيْنِ وَالْحَاجِبِ والجَفْنِ،(٤) وزاد بعضهم أنه قد يكون الغمز باليد(٥) وتابعهم المفسرون وقالوا: هو غمز بالعين والحاجب والجفن على وجه السخرية

(1) تفسير الرازي (٣/ ٦٣٤).
(2) تفسير ابن عطية (٣/ ٦٣) وقال: يَلْمِزُونَ معناه ينالون بألسنتهم، تفسير الرازي (١٦/ ٨١) وقال: إن هَمْزُ الْمُنَافِقِينَ ولَمْزُهُمْ عَيْنَ السَّفَهِ وَالْجَهَالَةِ.
(3) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٩٩)، تفسير الزمخشري (٢/ ٢٨١)، تفسير البغوي (٢/ ٣٥٨) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٧)، تفسير النسفي (٣/ ٣٥٤).
(4) لسان العرب (٥/ ٣٨٨)، الصحاح للجوهري (٣/ ٨٨٩)، مختار الصحاح ٢٣٠.
(5) مختار الصحاح (ص: ٢٣٠).

والاستهزاء[1]، وكل هذا إنما ذكره الله تعالى غير مقرون بالعين لأنه مفهوم من الاستعمال الشائع بين الناس.

أما أن الله تعالى ذكر الإغماض ولم يقرنه بالعين مع أنه من وظائف العين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] فلأنه معروف بداهة فحذف العين وذكر شيئا من لوازمها، كما يقال: ضرب فلان، ولا تذكر اليد؛ لأن الضرب لا يكون إلا بها أو بمساعدتها، فلأجل هذا لم تذكر العين ليكون الفعل أشمل وأوسع، أي أن السخرية بكل أنواعها تكون بالعين وبغيرها.

وفي كل أنواع السخرية يعلّمنا ربنا أولا: أن نتنبه لأعين الأعداء والخصوم لكي نكون على علم بكل حركاتهم حتى حركات أعينهم، وثانيا: ليظهر لنا ما يخفونه وراء الرموش والأجفان، وما تخفيه صدورهم، وقال لنا: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] وما تلك الحركات الخفية إلا عنوان لما تخفيه تلك الصدور الحاقدة، فهم الهُمزة اللُّمزة والمتغامزون، وهم المستهزئون وهم الساخرون، وهم الذين لا يرضيهم شيء ولا يعجبهم شيء، وبعد أن فضحهم على مدى الأزمان هددهم الله تعالى لأجل هذه الحركات فقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥] وقال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩] والله

(1) تفسير البغوي (٥/ ٢٢٧)، تفسير الزمخشري (٤/ ٧٢٤)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤١٨)، تفسير الرازي (٣١/ ٩٤) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٦)، تفسير النسفي (٣/ ٦١٧)، البحر المحيط (١٠/ ٤٣٢)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٢٩)، تفسير الألوسي (٢٨/ ٢٥).

تعالى في هذا وذاك يرسم لنا صورا دقيقة مختلفة من ملامح العين الساخرة لكنها كلها تتحدث عن المنافقين، وهو حالهم في كل مكان وحين، وهذا الكشف الفاضح تحصين للمسلمين ضد هذه الفئة التي يجب أن يحذرها كل مسلم.

إلا أن الله تعالى قرن الازدراء بالعين فقال: ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [هود: ٣١] مع أنه من السخرية أيضا، لكن الحوار الطويل الذي كان بين نوح وقومه تعرّض لمجمل الأفعال التي فعلوها فذكر مقابل ذلك ملامح عيون الكافرين الذين كانوا ينتقصون المسلمين الفقراء، وتلك الملامح كانت خافية على الناس فنبه إلى سخافة الكافرين الذين تهمهم المظاهر الكاذبة، وبين للناس ما تخفيه عيون هؤلاء المتعجرفين .[1]

ثامنًا: العين الخائنة : وهذا وجه من الوجوه الخفية من ملامح العين التي أبدع القرآن الكريم في تصويرها ورصد حركاتها الخفية، التي قد تخفى على الناس ولكنها لا تخفى على الله، ولنسمع بهدوء في تحذيره للجميع حيث يقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } [غافر: ١٩].

وهذه الحركات قرنها ربنا تبارك وتعالى بأعمال القلوب التي لا يطلع عليها إلا هو، فالنظر مثلا له أبعاد والناظر أمامه ما يحل وما يحرم وما يضر وما ينفع وما هو صالح وما يجب اتقاؤه ، ولا أحد يدري إلى ما ينظر الناظر ، وهو ما يصعب على البشر معرفته، ولا يحيط بذلك إلا الذي يعلم السرائر والخفايا.[2]

---

(1) البحر المحيط (٢/ ٦٧٥)، تفسير ابن عطية (٤/ ٤٦٨).

(2) قال الطبري (٢١/ ٣٦٩): يعلم ربكم ما خانت أعين عباده، وما أخفته صدورهم، يعني: وما أضمرته قلوبهم؛ يقول: لا يخفى عليه شيء من أمورهم حتى ما يحدث به نفسه، ويضمره قلبه إذا نظر ماذا يريد بنظره، وما ينوي ذلك بقلبه (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) يقول: والله تعالى ذكره يقضي في الذي خانته الأعين بنظرها، وأخفته الصدور عند نظر=

وقال الزجاج :إذا نظر الناظر نظرة خيانة عَلِمَها اللَّه، فإذا نظر أول نظرة غير متعمد خيانةً فذلك غير آثم، فإن عاد ونيتُه الخيانة في النَّظرِ علم الله ذلك، والله عزَّ وجلَّ عالم الغيب والشهادة، ولكنه ذكر العلم ههنا ليعلم أن المجازاة لا محالةَ واقعة.(١)

وقال الماتريدي: خائنة الأعين هي التي ينتظرها فإذا غفل الناس عنه نظر إلى ما يهواه ويحبه(٢).

وقال الماوردي : خائنة الأعين خمسة، أحدها: أنه الرمز بالعين ، قاله السدي. الثاني: هي النظرة بعد النظرة ، قاله سفيان. الثالث: مسارقة النظر، قاله ابن عباس. الرابع: النظر إلى ما نهى عنه ، قاله مجاهد. الخامس: هو قول الإنسان: ما رأيت وقد رأى، أو رأيت وما رأى ، قاله الضحاك.

ثم قال: وفي تسميتها خائنة الأعين وجهان: أحدهما: لأنها أخفى الإشارات فصارت بالاستخفاء كالخيانة. الثاني: لأنها باسترق النظر إلى المحظور خيانة.(٣)

=العيون بالحق، فيجزي الذين أغمضوا أبصارهم، وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه، ومسألته عنه بالحُسنى، والذين ردّدوا النظر، وعزمت قلوبهم على مواقعة الفواحش إذا قدّرت جزاءها. والمرأة إذا نظرت إليها تريد الخيانة أم لا ؟وإذا قدرت عليها أتزني بها أم لا؟

وفي تفسير مجاهد (ص: ٥٨٣) يعْنِي نَظَرَ الْأَعْيُنِ إِلَى مَا نَهَى عَنْهُ. وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٠٩) يعني الغمزة فيما لا يحل بعينه والنظرة فى المعصية. وفي تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٤٣) عن قتادة: يَعْلَمُ هَمْزَهُ بِعَيْنِهِ، وَإِغْمَاضَهُ عَمَّا لَا يُحِبُّ اللَّهُ.

(1) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٠).

(2) تفسير الماتريدي (٩/ ١٦).

(3) تفسير الماوردي (٥/ ١٥٠).

وتعمق القشيري أكثر من ذلك فقال[1] : ومن خائنة أعينهم أن تأخذهم السّنة والسّبات في أوقات المناجاة، وقد جاء في قصة داود عليه السلام: كذب من ادّعى محبتى فإذا جنّه الليل نام عنّى! ومن خائنة أعين العارفين أن يكون لهم خبر بقلوبهم عمّا تقع عليه عيونهم. ومن خائنة أعين الموحّدين أن تخرج منها قطرة دمع تأسّفا على مخلوق يفوت في الدنيا والآخرة، ولا على أنفسهم. ومن خائنة أعين المحبين النظر إلى غير المحبوب بأى وجه كان، ففي الحديث: «حبّك الشىء يعمى ويصم» أي لأن الحبيب لا ينظر لغير محبوبه[2].

**

(1) تفسير القشيري (٣/ ٣٠٣)

(2) أخرجه عبد بن حميد (ص ٩٩ ، رقم ٢٠٥)، وأحمد (١٩٤/٥ ، رقم ٢١٧٤٠) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (١٧١/٣) ، وأبو داود (٣٣٤/٤ رقم ٥١٣٠)، والطبرانى فى الأوسط (٣٣٤/٤ ، رقم ٤٣٥٩) .

المبحث الرابع

علاقة العين بالجوارح الأخرى

العين متعلقة بكل الأعضاء والحواس وهي الحارس للبدن، والبوابة التي تدخل منها كل الصور، وهي البريد الذي يوصل إلى الدماغ تقريرا عن كل ما يحيط به ويراه، بسرعة خيالية، والدماغ هو الذي يفسر هذه الصور المرسلة، والحقيقة أن المباشر هو العقل وحياة العقل بالروح، لكن نتكلم عن هذا من باب المجاز كما تقدم في أول التمهيد.

ومهما يكن من قول فإن القرآن الكريم صور لنا العلاقة الوطيدة بين العين والقلب فقال تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١] والرؤية للعين ولكن لشدة علاقتهما حذفت العين للعلم بها(١).

وهذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠] ثم جاء بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧] لن نخوض هنا في الاختلاف بين رؤية القلب ورؤية العين، وقد ذكر المفسرون هذا الخلاف(٢)، لكن قوله تعالى: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٨، ٩] تثبت العلاقة الواضحة بين العين والفؤاد مما لا يجعل مجالا للشك أن القلب يتلقى عن العين، لكن المسئولية واقعة على القلب، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦] قال

---

(1) قاعدة : حذف للعلم به . مستقرة عند النحويين . تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد (٦/ ٢٦٦٠). شرح المفصل لابن يعيش (١/ ٢٤٠)، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (٣/ ٩٩).

(2) تفسير مجاهد (ص: ٦٢٥)، تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٦٠)، تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٧)، تفسير الماتريدي (٩/ ٤٢٠)، تفسير الماوردي (٥/ ٣٩٤)، تفسير البغوي (٤/ ٣٠٤)، تفسير الرازي (٢٨/ ٢٤٣).

الطبري: فإنها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها، بل يبصرون ذلك بأبصارهم ولكن تعمى قلوبهم التي في صدورهم عن أبصار الحق ومعرفته.[1] وقال الواحدي: مثل من يقبل عليك بالنظر وهو كالأعمى من بغضه لك، وكراهية ما يراه من آياتك.[2] وقال القشيري: كانت لهم قلوب من حيث الخلقة، فلمّا زايلتها صفاتها المحمودة صارت كأنها لم تكن فى الحقيقة. ثم إنه أخبر أن العمى عمى القلب وكذلك الصمم، وإذا صحّ وصف القلب بكونه له سمع وبصر صحّ وصفه بسائر صفات الحىّ من وجوه الإدراكات، فكما تبصر القلوب بنور اليقين يدرك نسيم الإقبال بمشامّ السّرّ وأحاسيسه، وفى الخبر: " إنى لأجد نفس ربكم من قبل اليمن"[3]، وقال تعالى مخبرا عن يعقوب عليه السلام: ﴿ إِنّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٩٤] وما كان ذلك إلا بإدراك السرائر دون اشتمام ريح فى الظاهر. وقال البيضاوي: (لاَ تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) عن الاعتبار أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما عميت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد، وذكر الصُّدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر.[4]

ثم نجد أن الجزاء سيكون بالعمى في الآخرة لمن لم يستمع قلبه لبصره، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢] وقال أيضا: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا*قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى *وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ

(1) تفسير الطبري (١٨/ ٦٥٨)، تفسير البيضاوي (٤/ ٧٤).

(2) التفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٥٤٨).

(3) أخرجه البزار = البحر الزخار (٩/ ١٥٠) رقم ٣٧٠٢، والطبرانى في الكبير (٥٢/٧ ، رقم ٦٣٥٧)، وفي الشاميين (٢/ ١٤٩) رقم ١٠٨٣ والحديث فيه كلام .

(4) تفسير البيضاوي (٤/ ٧٤).

يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٧] وقد قال بعض المفسرين: أعمى مجازا لأنه عمي عن الدين، وقيل كالأعمى،[1] كما قال تعالى: ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] وقال: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠] وإنما لم يكن عمى حقيقة لأن النظر يشعر بالعذاب أكثر، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] وقال أيضا: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤] وهم يرون أهل الجنة ويتحسرون على أنفسهم ويطلبون منهم الماء والطعام، كما قص علينا سبحانه: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠] والآيات كثيرة .

ولكني أرى أن العمى الحقيقي كائن يوم الحشر عند الصراط حقيقة لا مجازا، ثم يبقى العمى المجازي؛ لأن الكافر يذكر الحقيقة التي كان عليها في الدنيا، ولأن الله تعالى ذكر عذاب الآخرة في الآية التي تليها. ونفس المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] والله أعلم .

وهذا مفهوم ما قاله الألوسي: جزاء وفاقا لكن لا أبدا كما قيل، بل إلى ما شاء الله ثم يزيله عنه ليرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذلك البكم والصمم يزيلهما الله عنهم[2].

---

(1) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٧٩)، تفسير الطبري (١٨/ ٣٩٥)، تفسير الماوردي (٣/ ٤٣١) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٣٩٥).

(2) روح المعانى (٥/ ٤٤٢).

ثم إن العين لها علاقة بالقدم فلا يستطيع الإنسان أن يمشي بلا عينين، وإذا كان أعمى فلا بد له من عصا أو قائد ومع ذلك لا يخلو من زلل، قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] فلا يمكن المشي بغير عينين، قال تعالى:﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠] أي وقفوا [١].

وكذلك العين لها علاقة بالإحساس كمن يرى ذبابة تحط على يده فإن الإحساس يتحرك ويعطي أوامر للجلد فيتحرك الجلد ويرتعش لتطير ، ومثل هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] [٢] فالله تعالى أرى المسلمين قلة عدوهم فلم يشعروا بالخوف ولم ينهزموا. وهكذا نقيس جميع الحواس فكلها متعلقة بالعين، والموضوع كبير لا يحتمله هذا البحث.

لكن أخيرا لا بد من القول بأن هذه العين ضعيفة جدا فهي لا تقوى على مواجهة النور القوي فإنه يعميها، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣] [٣] وهنا أيضا نختصر لعدم الإطالة، والله أعلم.

---

(1) تفسير الطبري (١/ ٣٤٦).

(2) تفسير ابن عطية (٢/ ٥٣٤).

(3) تفسير الماوردي (٤/ ١١٣).

الخاتمة

نحمد الله تعالى على تيسيره إتمام هذا البحث الذي اختصرته كثيرا، وأخذ مني وقتا طويلا ، وتم بتوفيق الله تعالى، وقد شاهدت في بحث (ملامح العين) العجب العجاب؛ إذ بعد ما أعلمنا الله بنعمة البصر وذكرنا بآياته وأعاجيبه، في سرعة رسم الصورة مهما كانت عظيمة وسرعة نقلها وإيصالها إلى الدماغ ثم تخزينها لفترة طويلة جدا قد تستمر مع الإنسان طوال حياته، ولو كانت أكثر من مئة سنة، كما يحدث مع المعمرين الممتعين بصحتهم وذاكرتهم، فيروي لك حدثا أو صورة من مئة سنة، ثم يقول: كأني أراها الآن، ولا أحد يعتقد أن آلة في الدنيا تعيش مئة سنة، دون صيانة أو تعهد من أحد ، حتى المعادن يأكلها الصدأ ويفسدها الزمن، ولكن خلقة الله وصنعته وصبغته لا يجاريها أحد ، كما قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨] فلا أحسن من صبغتك يا ربنا، ولك الحمد على خلقنا في أحسن تقويم، وخلقت مخلوقاتك على أتم خلقة.

هذا وقد رأينا في هذا البحث :

١- كيف خلق الله العين بطبقاتها وعروقها وأجزائها الدقيقة.

٢- كما رأينا كيف خلق الله جمالها وأودع فيها حسن صنعته وعظيم قدرته.

٣- ورأينا أيضا عجيب قدرته في قوة هذه العين الضعيفة جدا كيف تؤذي وكيف تقتل.

٤- وعلمنا كيف نتحصن من هذه العين ضد حسدها وضد أذاها .

٥- وتبين لنا أنها الحارس القوي لهذا الجسد الذي يتعب بلا بصر ويتأذى كثيرا.

٦- وكذلك تبين لنا علاقتها بالقلب والدماغ والجسد كله والحواس كلها. كل ذلك بتناسق وسرعة لا يعلمها إلا الذي خلقها، وأما نحن فقال لنا ربنا تبارك

وتعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] مهما غرّنا ما وصلنا إليه من دقة التصوير والنقل والتخزين.

هذا وإني أوصي كل باحث وعالم أن يبحث عن غواصة ليغوص في أعماق معاني القرآن الكريم، في حروفه وكلماته وجمله وآياته، ويتدبر بشكل جيد كيف أودع الله الأسرار في هذا الكتاب العزيز الذي فيه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا، والذي لا تمل منه الأسماع ولا يَخلَقُ من كثرة الترداد، والذي فيه عزنا ومجد أسلافنا، ولن نعز إلا به، ومهما ابتغينا العزة بغيره فلن نتحصل إلا على الذل والقهر من أنفسنا ومن أعدائنا.

فهيا إليه نعود ، وهيا إليه نفيء وبه نستظل، وتحت لوائه نسير، فقد أهلكتنا التجارب وضحكت علينا الأمم، ولم نجن من ورائهم إلا الخراب والدمار، ومن لم يعتقد بذلك فهو في ضلال مبين.

اللهم ألهمنا رشدنا وردنا إلى دينك ردا جميلا، وأصلحنا بما أصلحت أسلافنا، ووحد صفوفنا وانصرنا على أعدائنا ورد كيدهم عنا، يا غياث المستغيثين ويا صريخ المستصرخين يا الله.

**

فهرس المصادر

١- الإتباع : لأبي الطيب: عبد الواحد بن علي الحلبي، أبو الطيب اللغوي (المتوفى: ٣٥١هـ) تحقيق: عز الدين التنوخي. ط: مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.

٢- أخلاق العلماء للآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري .ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية.

٣- الآداب للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه .ط: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤- أساس البلاغة للزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود . ط: دار الكتب العلمية، بيروت – ١٩٩٨ م.

٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي .ط: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٦- أسد الغابة لابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود. ط : دار الكتب العلمية: الأولى سنة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧- إصلاح المنطق لابن السكيت : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ) المحقق: محمد مرعب. ط : دار إحياء التراث العربي ٢٠٠٢م.

٨- الأضداد لابن الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: المكتبة العصرية، بيروت لبنان ١٩٨٧م.

٩- أمراض العيون للدكتور روبرت والترز، ترجمة مارك عبود . ص١٠ طبع دار الثقافة العلمية للجميع بالسعودية.

١٠- البحر المحيط لأبي حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل. ط: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.

١١- البحر المديد لابن عجيبة : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. ط : الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة . الطبعة: ١٤١٩هـ.

١٢- البدر المنير لابن الملقن : سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال . ط: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

١٣- البلغة إلى أصول اللغة: محمد صديق خان (المتوفى: ١٣٠٧هـ) المحقق: سهاد حمدان أحمد السامرائي .ط :- جامعة تكريت ١٩٩٠ م .

١٤- تاج العروس للزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ط: دار الفكر – بيروت الطبعة: الأولى /١٤١٤ هـ.

١٥- التاريخ الكبير للبخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) طبعة: دائرة المعارف حيدر آباد الدكن .طبع بمراقبة: محمد عبد المعيد خان.

١٦- تاريخ بغداد للخطيب : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف . الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

١٧- تاريخ دمشق لابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي . ط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٨- التحرير والتنوير لابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ٢٠٠٠م.

١٩- ترتيب الأمالي الخميسية للشجري : يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى ٤٩٩ هـ) رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى: ٦١٠هـ) تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل . ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط : الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٢٠- تصحيح الفصيح وشرحه لابن المرزبان: أبو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (المتوفى: ٣٤٧هـ) المحقق: د. محمد بدوي المختون.ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة] عام : ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢١- تفسير ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) تحقيق مجموعة . ط: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

٢٢- تفسير ابن عطية : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد . ط: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٢٣- تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة . ط : دار طيبة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٤- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت. بلا تاريخ.

٢٥- تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية. ط: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٦- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) تحقيق جماعة. ط: دار طيبة. الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٧- تفسير البيضاوي(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)

المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي . ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ .

٢٨- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٢٩- تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) ط: دار الكتاب العربي بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣٠- تفسير السمرقندي (بحر العلوم) : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي . تحقيق: د.محمود مطرجي . ط : دار الفكر – بيروت.

٣١- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط : دار هجر . الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٢- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط : دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

تفسير القشيري(لطائف الإشارات) : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني. ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر . الطبعة: الثالثة.

٣٣- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) : محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم. ط : دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٤- تفسير الماوردي(النكت والعيون) : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. ط : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٣٥- التفسير الوسيط للواحدي : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: مجموعة. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٣٦- تفسير عبد الرزاق : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) ط : دار الكتب العلمية. تحقيق: د. محمود محمد عبده.

٣٧- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ) المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل. ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر. الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٣٨- تفسير مقاتل : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ).

٣٩- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء للعسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو

٣٩٥هـ) تحقيق: الدكتور عزة حسن.الناشر: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م.

٤٠- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: ٧٧٨ هـ) تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون. ط: دار السلام القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ.

٤١- التمهيد لابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري. ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب عام: ١٣٨٧هـ.

٤٢- تهذيب اللغة للأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب. ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠١م.

٤٣- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: يوسف بن عبد البر النمري المتوفى سنة ٤٦٣. ط المطبعة المنيرية القاهرة ودار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٨هـ .

٤٤- الجامع لابن وهب: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ) المحقق: د/ رفعت فوزي – و د/علي عبد الباسط. ط: دار الوفاء ٢٠٠٥م.

٤٥- جمهرة اللغة لابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي. ط : دار العلم للملايين- بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٤٦- حاشية ابن عابدين (رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبي حنيفة) ابن عابدين :محمد علاء الدين أفندى. ط: دار الفكر للطباعة والنشر. سنة ٢٠٠٠م.

٤٧- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك . الصبان هو: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) ط: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٩٩٧م.

٤٨- حاشيتا قليوبي وعميرة: أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة. ط: دار الفكر – بيروت -١٩٩٥م.

٤٩- حاشية الشهاب عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي . الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) ط: دار صادر – بيروت ١٩٦٠م.

٥٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لقوام السنة : إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي. ط : دار الراية – السعودية / الرياض .الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥١- حقيقة العين والحسد . د سامح عسكر، بحث منشور في كلية الطب جامعة عين شمس.

٥٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ط: السعادة – ب مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٥٤- دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي: علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن (المتوفى: ٤٦٧هـ) ط: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٥٥- دواوين الشعر العربي على مر العصور (النسخة الإلكترونية).

٥٦- ديوان ابن الرومي شرح : أحمد حسن بسج. ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٢م.

٥٧- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : :أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير بن سالم أبو عمر (٣٢٨ ــ ٢٤٦ هـ) ط مؤسسة الرسالة ١٩٧٩م.

٥٨- ديوان عبد الغفار الأخرس المتوفى١٢٩٠ هـ ط إستانبول ١٨٨٧م.

٥٩- ديوان عبد الغني النابلسي (المتوفى: ١١٤٣) ط دار الحياة بيروت ١٩٨٠.

٦٠- ديوان عماد الدين الأصبهاني، ط جامعة الموصل ١٤٠٤هـ.

٦١- ديوان عنترة ط مطبعة الجامعة لبنان ١٨٩٣.

٦٢- الرد على الجهمية للدارمي: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ) المحقق: بدر بن عبد الله البدر . ط : دار ابن الأثير الكويت ١٩٩٥م.

٦٣- روح البيان : إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ط : دار الفكر – بيروت.

٦٤- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي. ط : دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٦٥- زهر الآداب للحصري: أبو اسحاق إبراهيم بن علي المعروف بالحصري المتوفى: ٥٣هـ. تحقيق: د / يوسف على طويل.ط: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٧ هـ.

٦٦- السلسلة الصَّحِيحَة للألباني، ط مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤٢٠هـ.

٦٧- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد . ط : المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٦٨- سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط : مصطفى الحلبي بمصر ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٦٩- سنن الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) المحقق: نبيل هاشم الغمري. ط : دار البشائر (بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٧٠- السنن الكبرى للبيهقي : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا . ط : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٧١- سنن سعيد بن منصور (المتوفى: ٢٢٧هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط: الدار السلفية – الهند ١٩٨٢م.

٧٢- شعب الإيمان للبيهقي : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. ط : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

٧٣- الصحاح للجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار .ط : دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٧م.

٧٤- صحيح ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه: شعيب الأرنؤوط . ط: مؤسسة الرسالة، بيروت .

٧٥- صحيح البخاري . تحقيق : د. مصطفى ديب البغا . ط : دار ابن كثير– بيروت ١٩٨٧م.

٧٦- صحيح الجامع الصغير للألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ط: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

٧٧- صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط : دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ .

٧٨- عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني.

٧٩- العرش للذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي . ط: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٨٠- العقد الفريد لابن عبد ربه : أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ) ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٤ هـ.

٨١- العين للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي . ط : دار ومكتبة الهلال ١٤٢٤ هـ.

٨٢- الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام للداني: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) المحقق: حاتم صالح الضّامن. ط: دار البشائر – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

٨٣- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي ط : إحياء التراث العربي. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨٤- القانون في الطب لابن سينا: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي. ط : إحياء التراث العربي١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨٥- الكامل لابن عدى: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (المتوفى : ٣٦٥هـ) الطبعة الثالثة تحقيق: الدكتور سهيل زكار . ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٦- لسان العرب لابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ط: دار صادر – بيروت ١٤١٤ هـ.

٨٧- مجمع الزوائد للهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) حَقَّقَهُ: حسين سليم أسد الدّاراني ط: دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاثِ ١٩٠٠م.

٨٨- مجمل اللغة لابن فارس. المحقق: عبد الله محمود شحاتة. ط : دار إحياء التراث – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
٨٩- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: عبد الحميد هنداوي . ط: دار الكتب العلمية بيروت/ ١٤٢١ هـ.
٩٠- مختار الصحاح للرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد ط: المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٠هـ.
٩١- المخصص لابن سيده. المحقق: خليل إبراهم جفال.ط : دار إحياء التراث بيروت ١٩٩٦م.
٩٢- المذكر والمؤنث للأنباري: أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى: ٣٢٨ هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة. ط: وزارة الأوقاف بمصر .سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
٩٣- المزهر في علوم اللغة للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: فؤاد علي منصور. ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٨م.
٩٤- المستدرك للحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى ١٤١١ – ١٩٩٠.
٩٥- مسند ابن أبي شيبة : أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: عادل بن

يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي. ط : دار الوطن – الرياض الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

٩٦- مسند ابن الجعد (الجعديات) أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ) المحقق: عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي. ط : مكتبة الفلاح الكويت سنة: ١٩٨٥م.

٩٧- مسند أبي يعلى الموصلي : أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) المحقق: حسين سليم أسد . ط : دار المأمون للتراث – دمشق .الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م.

٩٨- مسند أحمد : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط : مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

٩٩- مسند البزار (البحر الزخار) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) تحقيق مجموعة. ط: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة . الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

١٠٠- مسند الشافعي – ترتيب سنجر (المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ). رتبه: سنجر بن عبد الله الجاولي، أبو سعيد، علم الدين (المتوفى: ٧٤٥هـ) حققه: ماهر ياسين فحل. ط: شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

١٠١- مسند الطيالسى : أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) ط : دار المعرفة – بيروت.

١٠٢- مسند الفردوس للديلمى (الفردوس بمأثور الخطاب للديلمى: شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (المتوفى: ٥٠٩هـ) المحقق: السعيد بسيوني غلول. ط : دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

١٠٣- مسند عبد بن حميد (المنتخب من مسند عبد بن حميد) أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ) المحقق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي . ط: مكتبة السنة القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨.

١٠٤- المصباح المنير للفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ط: المكتبة العلمية – بيروت ١٩٨٧م.

١٠٥- مصنف ابن أبي شيبة : أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت .ط : مكتبة الرشد – الرياض الطبعة الأولى، ١٩٧٢.

١٠٦- مصنف عبد الرزاق : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط : المجلس العلمي- الهند ١٤٠٣.

١٠٧- معالم أصول الدين للرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى:

٦٠٦هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد. ط : دار الكتاب العربي – لبنان.

١٠٨- معانى القرآن للأخفش أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ) بدون بيانات .

١٠٩- معاني القرآن وإعرابه للزجاج : إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي. ط : عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١١٠- المعجم الأوسط للطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: مجموعة. ط: دار الحرمين – القاهرة.

١١١- المعجم الكبير للطبراني .تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط : مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

١١٢- المعجم الوسيط . (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) إصدار: مجمع اللغة العربية بالقاهرة طبعة سنة ٢٠١١.

١١٣- معرفة السنن والآثار للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي. ط: دار قتيبة (دمشق –بيروت)، دار الوعي (حلب – دمشق) ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١١٤- المغني لابن قدامة : أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) ط: مكتبة القاهرة : ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١١٥- مقاييس اللغة لابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون. ط: دار الفكر : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١١٦- من رحيق الشعر :عبدالله بن محمد بن إبراهيم الحسن. ط دار الفكر بيروت ١٩٠١م.

١١٧- المناظر لابن الهيثم : محمد بن الحسن بن الهيثم، أبوعلي (المتوفى: ٤٣٠هـ) تحقيق: عبد الحميد بصرة. ط: المجلس الوطني بالكويت ١٩٨٣م.

١١٨- المنتخب من مسند عبد بن حميد . (المتوفى: ٢٤٩هـ) المحقق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي. ط: مكتبة السنة - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.

١١٩- منتهى السول لابن الحاجب : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: ٦٤٦هـ) المحقق: حسن أحمد العثمان. ط: المكتبة المكية - مكة الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١٢٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي : أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ.

١٢١- نهاية الأرب لابن عبد الدائم : أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) ط: دار الكتب القاهرة ١٤٢٣هـ.

١٢٢- النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ) تحقيق: مجموعة من العلماء. ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى سنـ١٤٢٠هـ.

١٢٣- الوسيط للواحدي (الوسيط في تفسير القرآن المجيد) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: مجموعة. ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

* * *